

الباب الخامس

"مظاهر الحياة الحضارية للأحبابيش
في العصر الجاهلي وصدور الإسلام"

الفصل الأول: النواحي الاقتصادية للأحبابيش

الفصل الثاني: النواحي الفكرية للأحبابيش

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية للأحبابيش

الفصل الأول

النواحي الاقتصادية للأحبابيش

في هذا الباب سوف تحاول الدراسة إلقاء الضوء على ملامح الحياة الحضارية للأحبابيش من خلال إستقراء المصادر والمراجع المختلفة، محاولة رسم صورة واضحة عن الملامح الحضارية للأحبابيش وإسهاماتهم الحضارية في الحضارة العربية الإسلامية، خاصة أنه لم توجد أى دراسة مسبقة تناولت النواحي الحضارية لقبائل الأحبابيش وسوف يكون الحديث في هذا الباب عن النواحي الاقتصادية والفكرية والاجتماعية للأحبابيش في جاهليتهم وبعد إسلامهم.

سيكون الحديث عن الحياة الاقتصادية للأحبابيش متمثلاً في الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة والتجارة.

الزراعة:-

تعتبر الزراعة وما تَغُله الأرض من نباتات مختلفة سواء كانت حشائش أو خضر وفاكهة وأشجار المقوم الأساسى لتغذية الكائنات الحية، وتعتمد عليها كل الكائنات الحية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وتختلف طبيعة الأراضي من منطقة لأخرى، ويؤدى ذلك لتنوع الحاصلات الزراعية، وما يهمننا هنا هو الزراعة عند الأحبابيش، فلقد حكمت الظروف البيئية والمناخية للمواقع التي سكنها الأحبابيش في

الحجاز أن يعيش سكان تلك المناطق في شظف من العيش بسبب شدة الحر^(١) وقلّة المياه، وقد كانت هذه المنطقة، خاصة مكة مجدبة غير صالحة للزراعة^(٢)، تنعدم فيها المياه حتى نزلت السيدة هاجر وابنها إسماعيل حول البيت في وادٍ غير ذي زرع، وفُجِرَ ماء زمزم بأمر الله، حتى إن العمالقة أو الجراهمة على مختلف الأقوال لما رأوا الماء تعجبوا واستأذنوا السيدة هاجر أن يقيموا بجوارها^(٣)، وبرغم ذلك ظل الوادي غير ذي ذرع ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٤). فبالرغم من أن هذا الوادي كان غير ذي زرع إلا أنه كانت تأتيه مختلف أنواع الثمرات ﴿ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥).

والزراعة تتوقف بشكل أساسي على المياه، وبه تخرج الأرض النبات،

قال تعالى:-

(١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق/حامد الطاهر، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٢٠.

(٢) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ١٨٤.

(٣) الشعبي: نهاية الأرب، مخطوط بدار المخطوطات، بالقاهرة، رقم ٤٥٠٥، ورق ٤٦.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٥) سورة القصص: آية ٥٧.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

والمناطق الشمالية من الجزيرة العربية صحراوية تندر فيها المياه وبخاصة في بادية الحجاز ونجد^(٢).

ولم تكن المياه نادرة أو قليلة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية بل كانت هناك مناطق تنعم بكثرة المياه كاليمن التي بني فيها سدود لحجز المياه وتنظيم الري كسد مأرب، والتي كان يقيم فيها أجداد بني المصطلق والحيا الخزاعيان الأحابيش.

كما أن المناطق المحيطة بالحجاز كالطائف والوديان الوجودية بين مكة وجدة كانت تنبت مختلف النباتات كالنخيل والأعناب والرمان والزيتون والفاكهة والشعير^(٣) وغيرها من النباتات.

وكان بنو مدلج أقارب بني الحارث بن عبد مناة وبني الدليل لديهم أرض يزرعونها وكان لهم نخيل^(٤)، وكان لطارق بن المرتفع

(١) سورة الأنعام: آية ٩٩.

(٢) محمود عرفة: المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٣) أحمد الشريف: المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٤) محمود عرفة: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

حوائط^(١) أى بساتين وعلى الرغم من قلة الزراعة في الحجاز إلا أن الأحابيش وأهل مكة قد عوضهم الله بالتجارة التي جعلتهم يستوردون ما يحتاجونه من الثمار، كما أن الحجاج من خارج الحجاز على ما يبدو كانوا يجلبون أيضاً معهم ثمار بلادهم للتجار فيها، لكن أهم نبات كان يحتاجه العرب هو التمر الذي كان يعتمد عليه أهل الجزيرة العربية في حياتهم ومعاشهم^(٢) وكانت المدينة مشهورة بالتمر وزراعته.

وصدق الله حيث قال: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾^(٣)

الثروة الحيوانية:

لقد عرف الأحابيش كغيرهم من عرب شبه الجزيرة بوجه عام وعرب الحجاز بوجه خاص تربية الحيوانات، وتأتي في مقدمة هذه الحيوانات الجمال أو الإبل أو الناقة أو البعير، والجمال من أقدم الحيوانات التي عرفها الإنسان، ولقد دلت الحفريات على قدم هذا الحيوان، إذ توجد حفائره في أواخر عصر البلايستوسين، وكان يعيش في شبه الجزيرة وجنوب الشام حيواناً وحشياً ثم نذرت حفرياته حتى لم تعد توجد في الشمال الأفريقي، أما في الجزيرة العربية فلم يُعثر له على حفريات إلا في

(١) الفاكهي: ج ٤ ص ١٢٥.

(٢) محمود عرفة: المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٣) سورة القصص: آية ٥٧.

عصر العرب البائدة أى قبل قرابة الثلاثين ألف سنة ثم ندر حتى لم نجد له حفريات إلا في جنوب العراق وشمال اليمن، وقد بدأ إستئناس الجمل جنوبي العراق قبل خمس وعشرين ألف سنة على وجه التقريب^(١)، ولم تذكر مصادر شبه الجزيرة والهلال الخصيب ومصر اسم الجمل صراحة إلا في النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد تقريباً في القرن ١٢ ق.م وهذا التاريخ هو ينطبق على الفترة التى استخدم فيها الجمل في النقل في شبه الجزيرة العربية^(٢).

وهناك نقش آشوري محفوظ بالمتحف البريطانى تحت رقم ١١٨٩٠١ يصور جانباً من الغنائم التى حصل عليها الملك الأشورى تجلات بلاصر الثالث الذى حكم بلاد في الفترة ما بين ٧٤٤ : ٧٢٧ ق.م^(٣)، ويسرد عدد الغنائم التى حصل عليها الامبراطور في حربه ضد أحد أعدائه

(١) حسين مؤنس: تاريخ قريش، ص ٢٥.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) تولى الملك تجلات بلاسر الثالث عرش آشور تقريباً عام ٧٤٥ ق.م وأسس الامبراطورية الاشورية الثانية، وبعد توليه الحكم عمل على توسيع رقعة دولته وإحلال هيبتها في نفوس الشعوب المجاورة له، وقد بدأ أعماله العسكرية ضد الميدين في فارس ثم بابل وأعلن نفسه ملكاً عليها في عام ٧٢٩ ق، تحت اسم بولو كما تدخل في شئون مملكة يهوذا وحصل على الجزية من العديد من البلدان مثل صور وصيدا ووشق وسبأ، وقضى على المملكة الآرامية بدمشق عام ٧٣٢ ق.م ونقل أهلها لمناطق أخرى. أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران، آسيا الصغرى)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٢٧٣.

المسمى (شمسي)^(١) وعلى النقش صورة أسيرة تستغيث ، وبعض الجمال؛ وقد قدر عدد الجمال بـ ٣٠٠٠٠٠ جمل بالإضافة إلى ٢٠٠٠٠٠ من الماشية و ٥٠٠٠٠ كيس بهارات^(٢)، ولاشك أن طبيعة شبه الجزيرة العربية ملائمة تماماً لعيش الجمال إذ إن الجمل يتفر من البرد ويميل إلى العيش في الدفاء^(٣) خاصة في الأماكن الموحشة التي لا يستطيع غيره من الحيوانات العيش فيها، فهو قد تعود على أكل الحشائش والنباتات - كالشوك والصبار دون أن تضره، كما يستطيع الاستغناء عن الماء لأيام طويلة، إذ أنه يشرب في المرة الواحدة ما يقرب من ١٤٠ ليتراً، يتحول هذا الماء إلى مادة هلامية تختزن في جهاز خاص في جسده من الأوعية والشرايين، كما أن خُفه يساعده على السير في الرمال دون أن تسوخ^(٤)، ولاشك أنه باستئناس الجمل استطاع العرب أن يتوسعوا في تجارتهم ويسيروا مسافات طويلة مكنتهم من الوصول للمدن المجاورة لهم، وقد اشتهر بنو الأسرة بن ناشرة من بني جذيمة الأحابيش أنهم أكثر بني كنانة إبلاً^(٥)، كما كان عند بني المصطلق الأحابيش عدة آلاف من البعير فقد كان عدد الإبل التي استولى عليها المسلمون يوم المريسيع ألفي بعير^(٦)، وهذه البعير

(١) شمسي (سمسي أو سمس أو شمس) هي ملكة العرب كما جاء في نقش للملك تجلات بلاصر الثالث. فائزة محمود صقر: العلاقات بين العرب والعراق القديم، ص ١٠٢.

(٢) R.Hoyland: ARABIA AND THE ARABS. London ٢٠٠٣ p.٦٠

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٥) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١٦١.

(٦) ابن سعد: ج ٢ ص ٨٩.

ليست كل ما كان يملكه بنو المصطلق، بل كان هناك غيرها بدليل أن الحارث بن أبي ضرار والد أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها - قد أتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعدد من الإبل لكي يفقدى به ابنته من الأسر^(١).

ولم تقتصر ثروة الأحابيش الحيوانية على الجمال فقط بل كان هناك الخيول التي لا غنى لهم عنها في الحروب بالإضافة إلى استخدامها كأحد وسائل التسلية والمواصلات، وكان لابن جامع من بنى المصطلق إبل كثيرة^(٢)، كما كان للأحابيش عدد كبير من الماشية، فكانت عدد الشياه التي حصل عليها المسلمون من بنى المصطلق يوم المريسيح خمسة آلاف شاة^(٣)، كما كان هناك من بنى الدليل من عنده غنم مثل سعر الدبلي الذي كان في غنم له فأتاه رجلان من الصحابة لكي يأخذوا منه صدقة غنمه^(٤)، كما كان هناك أحد بنى الدليل يرعى غنماً له قتله عمرو بن أمية الضمري لما سمعه يتناول على الإسلام^(٥).

(١) ابن هشام: ج٣ ص١٨٧.

(٢) شرح أشعار: هذيل، ج٢ ص٥٩١.

(٣) ابن سعد: ج٢ ص٨٩.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص٤٠٩؛ البغوى: ج٣، ص٢٧٩؛ البكرى: معجم ما استعجم، ج٤،

ص٧٢؛ اسد الغابة: ج٢، ص٤٧٠؛ ابن حجر: الإصابة، ج٣ ص٩٣.

(٥) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج٥ ص٩٥.

٢- الصناعة والحرف:

إذا تحدثنا عن الصناعات والحرف التي عرفها الأحباش فنجدها كغيرها من الصناعات والحرف لدى عرب الحجاز وغيرهم من العرب الذين عاشوا بعيداً عن الحضرة، فلم يعرف هؤلاء الصناعات وغيرها من الحرف كما عرف المتحضرون سكان الحضرة، ويرى ابن خلدون أن السبب في عدم معرفة العرب أو بعدهم عن الصنائع إنما يرجع إلى تمكن البداوة في العرب وبعدهم عن العمران الحضري، بعكس العجم فإنهم أعرف الناس بالصناعات لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه^(١)، حتى أن عرب اليمن والبحرين وعمان والجزيرة إن كانوا قد عرفوا الصناعات فإن ذلك إلى تعاقب الأمم الكثيرة وتملكهم عليهم لعدة آلاف من السنين واختطاطهم المدن والأمصار، وبلغوا الغاية من الحضارة والترفة كحضارة عاد وثمود والعمالقة وحمير والتابعة والأذواء، فطال أمد الملك والحضارة استحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسمت فلم تبلى ببلى الدولة^(٢).

ونلاحظ أن الأعمال والحرف التي قام بها بعض العرب كالطب وصناعة السلاح مثلاً قام بها بعض الأفراد ولم تكن صناعات أو حرف

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤٨٦.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤٨٧.

منظمة، كما أن العرب بتجارتهم كانوا يستوردون ما يشاءون من مواد كالأثواب والأسلحة والحلي وغيرها.

ويمكن القول أن الحرف التي عرفها الأحابيش وغيرهم من العرب المجاورين لم تتعد صناعة العجين وسلاً السمن وغزل الصوف والشعر وصناعة الخيام وصناعة الأصنام في الجاهلية وبعض الأسلحة.

٣- التجارة:

تعتبر التجارة لدى العربي القديم ذات أهمية كبيرة ، فحياته كانت قائمة بشكل أساسي عليها، ولقد كان العرب منذ القدم متفوقين تجاراً، ولقد أسأل ذلك لعاب بعض دول الحضارات القديمة حيث رغبوا في الاستيلاء على تجارة العرب والطرق التجارية الموجودة في شبه الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال كان من ضمن الدوافع التي حملت الإسكندر الأكبر على التفكير بشن حملة على بلاد العرب هو الدافع التجاري سواء من ناحية ثروات العرب أو أهمية موقعهم، وقد فطن الإسكندر إلى أهمية السيطرة على بلاد العرب لأنه رأى في ذلك اكتمال حلقة الاتصال البحري بين شرق الإمبراطورية اليونانية وغربها، وأن ذلك يدعم نفوذه السياسي والاقتصادي^(١)، وبالفعل أخذ الإسكندر يرسل الحملات الاستكشافية لاستكشاف بلاد العرب سعياً في سيطرته على المياه الدافئة ، لكن القدر حال دون استكمال مشروع الإسكندر الذي ما لبث أن توفي،

(١) السيد جاد: المرجع السابق، ص ١٠١.

أما خلفاؤه البطالسة فقد تخطوا جزيرة العرب ومدوا نشاط أسطولهم التجاري في البحر الأحمر، ومدوا نفوذهم التجاري إلى بلاد الحبشة^(١)، أما الرومان فقد حاولوا أكثر من مرة السيطرة على بلاد العرب لكن حملاتهم باءت بالفشل، وسبق ذكر ذلك.

سيكون الحديث هنا مقتصرًا على محاولة إبراز دور الأحباش التجاري وملامح حياتهم التجارية، فعلى الرغم من حديث الكثير من الباحثين والمؤلفين عن مظاهر الحياة التجارية في بلاد العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام إلا أنهم أغفلوا إبراز ملامح الحياة التجارية لدى الأحباش، حتى أن الإشارات إلى علاقة الأحباش بالتجارة تكاد تكون منعدمة، وستحاول الدراسة هنا إبراز بعض تلك الملامح الخاصة بتجارة الأحباش.

ففي البداية يمكن القول إن الأحباش وعلاقتهم بالتجارة لم تكن بمعزل عن تجارة قريش وارتفاع شأن مكة في النواحي التجارية، فقد كانت تجارة مكة وما حولها من تجارة غيرها من العرب محلية، ثم أخذت في النمو شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تجارة عالمية، فقد كانت التجارة العربية الخارجية في يد تجار اليمن، في حين كانت تجارة مكة مقتصرة على التجارة الداخلية، لكن في بداية القرن السادس الميلادي تدهورت أوضاع اليمن بسبب الصراع الديني بين اليهودية والمسيحية،

(١) فيكتور سحاب: المرجع السابق، ص ٥٠.

وقد انتهى الأمر بسقوط اليمن في يد الأحباش في النصف الأول من القرن السادس^(١).

ولاشك أن ذلك قد أثر على تجارة اليمن، مما جعل مكة تسعى لحل محل اليمن في الاستحواذ على التجارة الخارجية، ولقد كانت الظروف تسمح بأن تقوم قريش بهذا الدور، فقد كان الصراع بين بيزنطة وفارس في أوائل القرن السادس في عهد أنستاسيوس (٤٩١ - ٥١٥ م) واشتد في عهد خلفائه جستينوس الأول (جستين)، وجستينيانوس (جستينيان) وجستينوس الثاني وطيباريوس وموريقيوس، ثم اجتياح كسرى لبلاد الشرق ثم الهجوم المضاد من الإمبراطور هرقل، كل ذلك قد أثر على المحطات التجارية الواقعة في وسط الصراع بين الإمبراطوريتين، وقد زاد من ذلك اشتراك الأحباش في مجال السياسة الدولية في عهد (جستين) ثم (جستينيان) في عهده غزا الأحباش اليمن ٥٢٤ - ٥٢٥ م بعد حادثة الأخدود الشهيرة.

ولقد أدى ذلك الاحتلال إلى سقوط تجارة اليمن، وقابله صعود تجارة مكة على نفس الشبكة التجارية التي قد نظمها الحميريون قبل سقوط اليمن في يد الأحباش، فأصبحت تجارة مكة هي الأولى في غرب الجزيرة العربية^(٢)، ثم أتبع ذلك قيام أبناء عبد مناف بعقد اتفاقيات

(١) أحمد الشريف: مكة والمدينة، ص ١٧٣.

(٢) فيكتور سحاب: المرجع السابق، ص ١٩٣ - ١٩٥.

الإيلاف، فقد أخذ هاشم العهد من هرقل للتجارة في الشام، وعبد شمس في الحبشة، والمطلب في اليمن، ونوفل في العراق^(١).

و مما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن لامنس قد بدأ مقاله " الأحاييش والنظام العسكري في مكة زمن الهجرة " بقوله:-

"إن مكة بسبب مكانها من الحرم كان يجلب إليها عدد كبير من شذاذ الفقراء الخارجين عن نطاق قبائلهم من الخلعاء^(٢) والصعاليك^(٣)، واللصوص، والذؤبان من بني كنانة"^(٤).

ومما لاشك فيه أن لامنس قد غالى في تصوره هذا بجعله مكة مأوى للشذاذ والصعاليك والخلعاء وغيرهم من الفئات التي كانت منبوذة من

(١) ابن حبيب: المحبر، ص ١٨٧؛ حمزة الأصبهاني: الدررة الفاخرة، تحقيق/عبد المجيد قطامش، دار المعارف، د.ت، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٢) الخليع: يقال للرجل الذي سلك سلوكاً معيياً من شأنه أن يسيئ إلى سمعة القبيلة بين القبائل، فعندئذ يحق للقبيلة أن تتحلل من العقد الاجتماعي القائم بينها وبينه. أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ٣٧.

(٣) الصعاليك: طائفة من الناس لا يجمعهم نسب ولا زمان ولا مكان، وإنما جمعتهم وحدة الظروف، وقد خرجوا على طاعة أهلهم وبيوتهم وعشائرتهم وقبائلهم ويقال الصعلوك على الفقير الذي لا مال له، ومن أهم أعمالهم السطو والسلب والنهب وقطع الطريق، كما كانوا أيضاً يتميزون بالشجاعة وقول الشعر. ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٤٠، مادة "صعلك"؛ جواد على: المفصل، ج ٩، ص ٦٠١؛ عبد الحلیم حنفي: الشنفرى الصعلوك، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٧.

(٤) هنرى لامنس: الأحاييش، ص ٩. الذؤبان: تطلق على صعاليك العرب ولصوصها لأنهم كالذؤبان. ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٥٣٣.

مجتمعاتها وقبائلها آنذاك، في حين أغفل المكانة المتميزة التي كانت تحتلها مكانها وقتئذ وشعور الناس هناك بالأمان والطمأنينة، وأبرز دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). أي مكنا لأهل مكة البيت الحرام الذي فيه يأمن الناس من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض^(٢) في المناطق الخارجة عن نطاق الحرم وما حوله كما في الآية الكريمة: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٣)، (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا) يعلموا، (جَعَلْنَا حَرَمًا) أي بلدهم مكة، (وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلاً وسبياً دونهم^(٤)، وفي ذلك دليل على الأمن والأمان بمكة، ولقد نطق الوحي صراحة بالأمن في مكة، ويستدل على ذلك من قوله تعالى الذي أقسم فيه الله عز وجل ﴿والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين﴾^(٥).

والمراد بالبلد الأمين هنا مكة المكرمة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً^(٦). هذا ما قاله القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

(١) سورة القصص: آية ٥٧.

(٢) تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)،

مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٩٢.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٦٧.

(٤) تفسير الجلالين: ص ٤٠٤.

(٥) سورة التين: آية ١ - ٣.

(٦) تفسير الجلالين: ص ٥٩٧.

ولا من خلفه، أما من الناحية التاريخية، فكان بمكة الإيلاف أو المعاهدات التجارية، وهي معاهدات تجارية قد كان المكيون عقدها مع بعض الدول المجاورة لتأمين القوافل التجارية بينما، وهذه المعاهدات كانت بين:

١- هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي^(١) وسمي بهاشم لأنه هشم الثريد للحجاج^(٢)، وعقد هاشم الإيلاف مع الروم وحلفائهم من الغساسنة^(٣)، وما لبث أن مات هاشم بعد ذلك بمدة قصيرة، حيث توفي في ريعان شبابه، فقليل إنه توفي وعنده من العمر يوم مات خمس وعشرون سنة، ويقال عشرون سنة، وقد رجح البلاذري القول الأول خمس وعشرون سنة^(٤).

٢- عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي مع اليمن^(٥).

٣- نوفل بن عبد مناف بن قصي مع فارس والعراق^(٦).

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط ٦، د.ت، ص ١٤.

(٢) ابن الكلبي: جمهرة النسب، تحقيق د/ناجي حسن، عالم الكتب - بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٦.

(٣) محمود عرفة: العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص ٣٥٠.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق د/ محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة ط ٣، د.ت، ج ١ ص ٦٣.

(٥) ابن حبيب: المحبر، تحقيق/ سيد كسروي، دار الغد العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٨٧.

(٦) ابن حبيب: المحبر، ص ١٨٧ محمود عرفة: العرب قبل الإسلام، ص ٣٥٠.

٤- عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مع نجاشي الحبشة^(١).

أما عن بداية أخذ هذه المعاهدات فيذهب محمد حميد الله إلى جعل الإيلاف عام ٤٦٧م، حيث عقد هاشماً الإيلاف في عهد الإمبراطور البيزنطي ليون الأول الذي سالم الفرس^(٢)، إلا أن أحد الباحثين رجح أن يكون بداية عقد الإيلاف في مطلع القرن السادس الميلادي^(٣).

ويرى د/ جواد علي أن الإيلاف لم يكن مع الروم أو الفرس أو الحبشة وإنما كان مع سادات القبائل^(٤).

وجدير بالذكر أن هذا القول لا تدعمه المصادر التي تناولت الحديث عن الإيلاف، والتي كانت تبرز وتوضح أن هاشماً على سبيل المثال قد عقد معاهدته مع قيصر روما رأساً والذي أعجب بهاشم^(٥) بل إن ملك الشام - التي كانت خاضعة للسيطرة الرومانية آنذاك - أرسل مع هاشم خيلاً، فأمن به هاشم في تجارته إلى الشام^(٦)، كما أخذ الإيلاف من القبائل التي تسكن في الطريق بين مكة والشام^(٧).

(١) الألويس: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت، ج ٢ ص ٣٨٥.

(٢) فيكتور سحاب: إيلاف قريش، ص ٢١١.

(٣) فيكتور سحاب: ص ٢١١.

(٤) جواد علي: المفصل، ج ٧، ص ٣٠١.

(٥) ابن حبيب: المنمق، ص ٤٢.

(٦) الألويس: بلوغ الأرب، ج ٣ ص ٣٨٥.

(٧) ابن حبيب: المنمق، ص ٤٢.

مما سبق يمكن القول أنه لولا الأمان الذي شعر به المكيون وأهل الدول المجاورة، لما تجرأوا وأرسلوا قوافلهم التجارية تسير ذهاباً وإياباً إلا وهم يشعرون بالأمان على أنفسهم وأموالهم، وليس ذلك نفيماً لما كان يحدث من البعض من الاعتداء على القوافل التجارية ولاشك أن ذلك كان يحدث في بعض الأحيان ولكن ليس في مكة وإنما حولها كما جاء في القرآن الكريم.

ويرى أحد الباحثين أن تنظيم هذه العهود التجارية كانت في وقت واحد^(١)، ويرى الباحث أن هذا الرأي ينقصه بعض الصحة، حيث أن هاشم قد جاءته فرصة عقد الإيلاف مع قيصر مصادفة عندما علم قيصر بما كان يفعله هاشم بهشم الثريد فدعاه قيصر وكلمه، فأعجبه كلام هاشم، ولما رأى هاشم ذلك منه طلب من قيصر أن يكتب له كتاباً بأمان من يأتي بتجارتهم إلى بلاد قيصر، ولما حصل هاشم على ذلك الكتاب جعل يمر بكل حي من أحياء العرب بطريق الشام يأخذ من أشرفهم إيلاًفاً بأن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، على أن تقوم قريش بحمل بضائعهم ويردون إليهم رأس مالهم وربحهم، فأخذ هاشم الإيلاف ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة^(٢)، ويرى الباحث أن هاشم لما عاد ومعه الإيلاف اختمرت فكرة الإيلاف في رأسه ورأس إخوته، ورأوا أن يتوسعوا في ذلك بأن يأخذوا العهود من الدول الأخرى كالعراق والتي كانت خاضعة

Simon: Hums ET Ilaf P, ٢١٨.

(١)

(٢) ابن حبيب: المنمق، ص ٤٢-٤٣.

لفارس آنذاك، واليمن والحبشة، ثم نظموا الرحلات التجارية إليهم رحلة الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، وقيل كانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، والصيف إلى الشام^(١).

ويرى الباحث أنه لا تعارض بين القولين، فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، ومن قال أنها كانت إلى اليمن والحبشة والعراق، فقد يكون السبب في ذلك هو أهمية التجارة إلى اليمن حتى غطت في شهرتها وربحها الرحلتين الأخرتين إلى الحبشة والعراق واللذان كانتا متزامنتين معها في توقيت الخروج، ولم تكن تجارة مكة مع العراق بنفس القوة التي كانت عليها مع بلاد اليمن والشام^(٢).

جدير بالذكر أن أحد الباحثين ادعى أن أول من عقد الإيلاف هو قصي بن كلاب مع القبائل والمدن الواقعة في الجزء الغربي من شبه الجزيرة^(٣).

ولاشك أن هذا الكلام ينقصه الصحة خاصة أن قصياً ثم ابنه عبد مناف من بعده قد قضيًا وقتهما في حرب استرداد السيادة على مكة من يد خزاعة وبنى بكر بن عبد مناة، ثم إعادة تنظيم مكة سياسياً واجتماعياً وإعادة تقسيم حدودها، وعلى أكثر تقدير تنظيم التجارة الداخلية، ثم بعد

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١ ص ٥٩.

(٢) ذنوبة نادی: نشاط مكة التجاري قبل الإسلام، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، ٢٠١٠م، ص ٧٩.

(٣) سيمونسن: مكة المكرمة والمدينة المنورة بين دويلات المدن ومدن القوافل العربية، ترجمة /السيد جاد، جامعة طنطا، ص ١٠٧٢.

ذلك قام هاشم بن عبد مناف وإخوته بعقد الاتفاقيات التجارية الخارجية (الإيلاف) كما سبق تبين ذلك.

وبعد أن نظم أبناء عبد مناف اتفاقيات الإيلاف، كان لزاماً عليهم أن يعملوا على تأمين سير القوافل التجارية من وإلى مكة، ونظراً لكونهم تجاراً أكثر من معرفتهم للقتال، لذا نراهم فكروا في استخدام الأحاييش سواء من كنانة أو خزاعة للدفاع عن منافعهم السياسية والتجارية^(١)، ولم يكونوا مجرد جنوداً مرتزقة كما ادعى لامنس، بل كانت قريش تحالفهم ولها معهم محالفات كغيرها من القبائل الأخرى المنتشرة بين طرق القوافل التجارية، فكانت قريش تجعل لهم جعلات معينة وتشرك زعماءهم معها في تجارتها^(٢) ونظراً لما أبداه الأحاييش من مظاهر القوة والشجاعة والنجدة في حروبهم التي وقفوا فيها بجانب قريش قبل عقد الإيلاف، لم تجد قريش خيراً من الأحاييش لكي تسند إليهم حماية القوافل التجارية.

ولعل الدليل أيضاً على كون الأحاييش ليسوا مجرد جنوداً مرتزقة هو اشتراكهم وخروجهم مع قريش في النزول إلى سوق عكاظ، فكان من أعظم أسواق العرب وكان يقام في شهر ذي القعدة^(٣) وهو سوق للعرب جميعاً ينزله معظم قبائلهم، فكانت تنزله قريش وهوازن وغطفان وخزاعة

(١) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٢) أحمد الشريف: المرجع السابق، ص ١٢٤، أكرم العمري: المرجع السابق، ج ١ ص ٧٧

(٣) عرفان حمور: سوق عكاظ، مؤسسة الرحاب، بيروت، ط ٢٠٠١م، ص ٥٧.

والأحابيش^(١) كبنى الحارث بن عبد مناة وعضل والمصطلق^(٢)، بالإضافة إلى جماعات من سائر العرب تقصدها من اليمن وعمان وحضر موت والشحر والبحرين وبادية الشام والعراق منهم غسان وكندة وكلب بن وبرة والحارث ابن كعب والخصارمة وعذرة وبنى عامر بن صعصعة ومحارب بن خصيفة وفزاره ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنى نصر بن معاوية وبنى البكاء بن عامر والأوس وهمدان ومذجح وبنى تميم وبنى إياد^(٣).

وكان الأحابيش كغيرهم من العرب في هذا السوق يبيعون ويشتررون البضائع والمنتجات المختلفة كالطيب والمسك والعنبر والزعفران والكافور والبخور واللبان والخضاب والصمغ والحناء والأساور والخلاخيل والقلائد والسلاسل وأكواب وأباريق وثياب الكتان والقطن والحريير والأقمصة والعباءات والتمور والبخور والزيب والزيوت والتوابل والحنطة والملح والصوف والشعر والوبر^(٤)، وغيرها من البضائع، وكان أهم ما يميز هذا السوق أن التجارة فيه كانت حرة فلم يكن يفرق على المتاجرين عشور ولا خفاوه^(٥)، وكان هذا السوق أيضاً مسرحاً

(١) ابن حبيب: المحجر، المرزوقي: المصدر السابق، ص ٣٨٥، سعيد الأفغانى: أسواق العرب، ص

٢٩١.

(٢) المرزوقي: ص ٣٨٥، محمود عرفة: المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(٣) عرفان حمور: المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٩، ٩٥.

(٥) ابن حبيب: المحجر، ص ٢٧٢؛ المرزوقي: المصدر السابق، ص ٣٨٥.

للمسابقات الأدبية والشعرية بين العرب الموجودون في هذا السوق^(١)، وكان من النساء الأحاييش تاجرات كأم أنمار القارية كانت تتجر بمكة تباع وتشتري^(٢)، ولم يقتصر الأحاييش على حضور هذا السوق فقط، فقد كان هناك سوق ذى المجاز وهو قريب من عكاظ، كان ينتقل إليه الحضور في سوق عكاظ إذا أهل هلال ذى الحجة وقيمون فيه حتى يوم التروية^(٣) وبالطبع منهم الأحاييش، وهناك دليل يؤيد حضور الأحاييش لسوق ذى المجاز، فيروي أحد الصحابة من بنى الدليل وهو ربيعة بن عباد الديلي أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعوا الناس إلى الإسلام بذى المجاز^(٤)، وهذا يدل على حضور الأحاييش ومنهم بنى الدليل لهذا السوق، كما كان هناك سوق "مجنه" كان لكنانة ويقام في أرض كنانة^(٥)، ولا يستبعد أن يكون الأحاييش من بنى كنانة يحضرونه.

هذا بالنسبة لتجارة الأحاييش الداخلية، أما بالنسبة لتجارتهم الخارجية أى خارج بلاد الحجاز، فهناك بعض الروايات تخص أحداثاً معينة، من خلالها يمكن الاستنتاج أن الأحاييش لم يكونوا مقتصرين على التجارة

(١) لمزيد من التفصيل عن سوق عكاظ وما كان يحدث فيه يمكن الرجوع إلى كتاب سوق

عكاظ لعرفان حمور، وأسواق العرب في الجاهلية والإسلام لسعيد الأفغاني.

(٢) الفاكهي: المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٧

(٣) المرزوقي: ص ٣٨٥.

(٤) البلاذري: ج ١١، ص ١١١٩؛ ابن الأثير: اسد الغابة، ج ٢، ص ٢٦٤؛ أكرم العمري:

ج ١ ص ١٩٣.

(٥) الأفغاني: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

داخل الحجاز فقط ، ففي الشام كان يتاجر سعو الدثلي^(١)، كما كانوا يتاجرون إلى اليمن أيضاً، وفي إحدى المرات توفي رجل من بني جذيمة باليمن في الجاهلية فحمل ماله إلى ورثته^(٢)، وقد سبق ذكر هذه الحادثة في سبب قتال خالد بن الوليد - رضى الله عنه - لبني جذيمة، ويستدل من هذه الحادثة أن هناك من الأحاييش من كان يتاجر لليمن أيضاً وكان من الذين حضروا هذه الحادثة خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة^(٣)، وبحكم حراسة الأحاييش لبعض قوافل قريش التجارية فلا يستبعد أن يكونوا من المتاجرين أيضاً في تلك البلاد التي تذهب إليها قريش كالشام واليمن ، كما كان هناك من بني نفاثة من يتاجر إلى حضرموت ككلثوم وأخيه الأسود ابني رزن من بني نفاثة^(٤) الأحاييش.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ٣ ص ٩٣.

(٢) ابن حبيب: المنق، ص ٢٠٧.

(٣) الاصفهاني، ج ٧ ص ٣٠٦.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

الفصل الثاني

النواحي الفكرية للأحبابيش

" كان أبو الأسود الدؤلي خطيباً عالماً، وكان قد جمع شدة العقل

وصواب الرأي وجودة اللسان، وقول الشعر والظرف... "

(الجاحظ)

الحياة الفكرية للأحبابيش

يتناول هذا الفصل ملامح الحياة الفكرية للأحبابيش وأبنائهم في العصر الجاهلي و صدر الإسلام، وسيكون حديث الباحث عن إبراز دور بعضهم في الشعر والحديث والتفسير وعلم القراءة والقضاء والحكمة وموقف الأحبابيش من الأمثال العربية والإفتاء الديني.

أما الشعر فهو ديوان العرب، سجلوا فيه أخلاقهم وعاداتهم وأنفسهم^(١)، ولم يكن الشعر مقتصرأ على العرب بل لم تخل أمة من الأمم القديمة ولا الحديثة من معرفة الشعر^(٢)، فأحياناً يعرف تاريخ أمة من الأمم من ملاحظتها الشعرية، كالإلياذة والأوديسة اللتين تعدان من أهم

(١) أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، د١، ج ٣، ص ٢٥.

مصادر تاريخ الإغريق القدماء، لكن الشعر العربي على الرغم من ذلك كان له مذاق خاص، يقول عنه ابن خلدون: "غريب النزعة عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق به رويماً وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة^(١) وكلمة، وينفرد كل بيت من بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وبعده..."^(٢).

ولقد اهتم العرب اهتماماً كبيراً بالشعر أكثر من اهتمام الأمم الأخرى بأشعارهم ويتجلى ذلك في كثرة أنواع الشعر عند العرب فهناك الشعر الخاص بالفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الأغراض^(٣)، كما اهتموا به من حيث الوزن والقافية وجعلوا له بحوراً^(٤).

- (١) لا يقال للقصيدة قصيدة إلا إذا بلغت سبعة أبيات فما فوق، ومن الناس من لا يعد القصيدة، إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بسبب واحد. ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٥٨
- (٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٧٢١.
- (٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ط ١، ص ٥١.
- (٤) البحر في الشعر هو الوزن الخاص الذي على مقاله يجرى الناظم، والبحور ستة عشرة بيتاً وضع الخليل بن أحمد أصول خمسة عشر منها وهي الطويل والمدين والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرج والخفيف والمضارع والمقتضب والمختبث والمتقارب، ثم وضع الأخفش تلميذ سيوية بحر المتدارك. السيد الهاشمي: ميزان الذهب، تحقيق/حسنى عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٩.

كما وضع العرب علماً خاص بالشعر يعرف بعلم العروض^(١).

وقد اهتم كثير من العلماء بالشعر وخصصوا مؤلفات لشرح صناعة الشعر كالسيد أحمد الهاشمي صاحب كتاب "ميزان الذهب في صناعة شعر العرب" وهناك من خصص جزءاً كبيراً من مؤلفاته للحديث عن الشعر وما يلزمه من تعاريف وفنون كابن رشيقي القيرواني الذي خصص جزءاً كبيراً من كتابه "العمدة" للحديث عن الشعر وما يلزمه من علوم وما يتعلق به من تعاريف مختلفة.

و لن نتناول الدراسة شرح الشعر وعلومه وأنواعه وإنما ستكتفي بذكر أشهر شعراء الأحبابيش، وبيان قبائلهم وبعض من أشعارهم، وبادئ ذي بدء تجدر الإشارة إلى أن الشعراء كانوا من أرقى الطبقات عقلاً، كما كان أكثر الشعراء في الجاهلية من أكرم الناس على قومهم لأن الشاعر كان يتغنى بمناقب قبيلته ويرثي موتاهم ويهجو أعداءها^(٢)، لذا نجد أنه إذا نبغ في أحد القبائل شاعر أتت القبائل فهنأته وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشرون الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكورهم وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج^(٣).

(١) العروض: صناعة يعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها، وما يعتريها من الزخافات

والعلل. السيد الهاشمي، ميزان الذهب، ص ٦.

(٢) أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣) ابن رشيقي: المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥؛ أحمد الحوفي: المصدر السابق، ص ١١٠.

وكما اهتم العرب في الجاهلية بالشعر، فإنهم اهتموا به أيضاً في الإسلام، ويكفي ذكر العبارة التي قالها ابن عباس - رضى الله عنه - " إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب"، فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً^(١).

أما عن عدة الشعراء الذين عرفهم العرب سواء في جاهليتهم وإسلامهم فإنهم كثر لدرجة أن العلماء الذين وضعوا معاجماً للشعراء وطبقاتهم لم يستطيعوا إحصاء عددهم، فيقول ابن قتيبة " والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف"^(٢).

و يتفق كلاً من ابن قتيبة وابن سلام على أنه ليس من السهل إحصاء شعراء العرب وأشعارهم بل ولا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها و ساداتها وأيامها^(٣).

وهناك كثير من المصادر التي خصصت للحديث عن الشعراء سواء كانوا رجالاً أم نساء، فهناك الشعر والشعراء لابن قتيبة، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، ومعجم الشعراء للمرزباني، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرهم الكثير، هذا بالإضافة إلى الشعراء الكثر المتناثرة

(١) ابن رشيقي: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٥.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق/أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ١ ص ٦١، ٦٢.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق/محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج ١ ص ٣.

أخبارهم في كتب الأدب واللغة والسيرة ونحن إذا ذكرنا شعراء الأحباش، فليس ما سيذكره الباحث هم كل شعراء الأحباش، بل سيقصر على ذكر أشهرهم وبعض الأبيات من شعرهم.

فمن بنى الحارث بن عبد مناة: عمرو بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو المسمى بالأحمر وهو القائل:

وإذا تكون شديدة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب^(١)

ويقال إن هذا الشعر منسوب لهنيئ بن أحمر الكناني^(٢).

وإن كان الباحث يرجح أن يكون القائل هو عمرو الأحمر، حيث ذكر ذلك ابن الكلبي وهو من أعلم الناس بالأنساب، وقد نسب القالي هذا البيت لابن الأعرابي^(٣)، ويقال إنها تنسب لزرافة الباهلي^(٤).

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١٦١؛ المرزباني: معجم الشعراء، تحقيق/أحمد فراج، الهيئة العامة لقصر الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ٢٥، ٢٦ وفي رواية المرزباني: كريمة بدلاً من شديدة. ابن حبيب: كنى الشعراء، تحقيق/سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٤٢.

(٢) الأمدى: المؤلف والمختلف: تحقيق/كرنكو، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ٤٥؛ ابن سعيد الأندلسي: نشوة الطرب، ج ١، ص ٣٨٢؛ القالي: الأمالي، ج ٣ ص ٢٨٦؛ وابن منظور، ج ٢، ص ٦٨٣؛ الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٨ ص ١٠٠؛ إبراهيم النعانة: شعر بنى كنانة، دار جرير، عمان، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) الأمالي: ج ٣، ص ٨٥. وذكر كريمة بدل شديدة.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ٣ ص ٢٦٨.

وليعة وهو أحد شعرا بنى الحارث بن عبد مناة، ومن شعره يرثى به شخص يدعى محرث بن زبيد:-

قتلت بهم بنى ليث بن بكر	بقتلى أهل ذى حزن وعقل
تأرت محرثاً وعلمت فيه	منافع للعشيرة ذات فضل
وشماخاً تركت على يديه	ولست على رحلتها بثقل ^(١)

ومنهم أيضاً خالد بن الحارث بن عبيد بن تيم بن عمرو بن الحارث بن مبدول بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، ذكر ابن حبيب أنه كان بليغ اللسان شاعراً^(٢) ولكنه لم يذكر له شعراً.

ولم يكن الشعر مقتصرأ على الرجال فقط، بل كان هناك شاعرات من الأحابيش أيضاً مثل أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ بن خالد الكنانية^(٣) من بنى الحارث بن عبد مناة، وهى زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب^(٤) كانت من شواعر العرب^(٥) وقد اشتهرت بشعرها الذى رثت به ابنيها عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله^(٦)، وسبب ذلك، أنه في سنة

(١) أبو سعيد السكري: شرح أشعار الهذليين، ج٢ ص ٨٧٣.

(٢) ابن حبيب: المنق، ص ٢٣٩.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٦ ص ٢٨٤؛ عمر كحاله: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩م، ج١ ص ٢٨٣.

(٤) الزبيرى: المصدر السابق، ص ٤٣١؛ الأصفهاني: المصدر السابق، ج١٦ ص ٢٨٤، ٢٩١.

(٥) عمر كحاله: أعلام النساء، ج١، ص ٢٨٣.

(٦) يذكر الزبيرى أن أبناء عبيد الله من أم حكيم هما عبد الله وعبد الرحمن، وليس قثم، وقد يكون قثم وعبد الله شخص واحد، وإن كنت أدى أن الذى قال أن أحد أبناء عبيد الله يدعى

٣٩ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة إلى اليمن للسيطرة عليها وإخراجها من نفوذ علي بن أبي طالب، وكان عبيد الله بن العباس قد استعمله علي بن أبي طالب على صنعاء وأعمالها، ولم يزل عبيد الله على اليمن يحج بالناس إلى آخر أيام علي^(١)، ولما أرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة إلى اليمن فرّ عبيد الله بن عباس إلى الكوفة، حتى أتى علياً، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن فقتله بسر هو وابنه، وقد لقي بسراً أيضاً ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما^(٢)، وقيل قتلهما بعد أن عاد عبيد الله إلى اليمن عقب رجوع بسر إلى الشام^(٣).

وما يهمننا في ذلك أن أم حكيم لما علمت بقتل أبنائها أخذت تطوف وتقول ترثي ابنيها وهي لا تعقل أي شيء إلا خبر مقتل ابنيها:

ألا يا من سبى الأخوين أمهما هي الشكلى
تسائل من رأى ابنيها وتستسقى فما تسقى

قثم خطأ، لأن قثم هو أخو عبيد الله بن عباس، وقد شارك في فتوح بخارى زمن معاوية بن أبي سفيان، وتوفي بمرو أو سمرقند. أبي بكر النرشخي: تاريخ بخارى، دارالمعارف، القاهرة، ط٣، د.ت، ص ٦٩.

(١) الخزرجي: قرّة العيون، مخطوط، محفوظ بمكتبة الإسكندرية ورقة ٦ب.

(٢) عمر كحاله: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٨٣، ويقال أن الذي استخلفه عبيد الله على اليمن هو عمرو بن الثقفي وذلك قبل أن يذهب عبيد الله إلى الكوفة، الخزرجي، قرّة العيون، ورقة ٦ب.

(٣) مجدى فتحى: سيرة آل البيت الأطهار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ٣٩.

فلما استيأست رجعت
تتابع بين ولولة
بعبرة واله حرى
وبين مدامع تترى^(١)

ومن شعرها أيضاً في ذلك:-

يا من أحس بابني الذين هما
يا من أحس بابني الذين هما
يا من أحسن بابني الذين هما
كالدريتين تشظى عنهما الصدف
سمعى وقلبي فقلب اليوم مزدهف
مخ العظام فمنحى اليوم مختطف^(٢)

أما عن أبرز شعراء بني الدليل في الجاهلية وصدر الإسلام، فنذكر منهم أنس بن زنيم وقد سبق وأن أوضح الباحث بعض أخباره وأشعاره وهو الذي هجا النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم اعتذر له، وقد بقي إلى خلافة بني أمية وكان من أنصار عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد وجه إليه بعض الأشعار يعلمه فيه بإسراف مصعب بن الزبير حيث تزوج امرأتين بألفي ألف درهم، فقال فيها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
بضع الفتاة بألف ألف كامل
من ناصح لك لا يريك خداعاً
وتبيت قادات الجيوش جياعا^(٣)

(١) الأصفهاني: ج ١٦ ص ٢٨٤، بشرموت: شاعرات العرب، المطبعة الوطنية، بيروت، ط ١، ١٩٣٤ م، ص ١٧٨.

(٢) الأغاني: ج ١٦٢٩١، بشرموت: شاعرات العرب، ص ١٧٨، عمر كحاله: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الأغاني: ج ٣ ص ٣٥٧-٣٥٨. وقيل بل هذا الشعر لأمه.

ومنهم سارية بن زنيم القائد الشهير الذي سبق الإشارة إلى دوره العسكري، وكان أيضاً شاعراً وله قصائد، وقد ذكر أبو بئينة الصاهلي في إحدى قصائده التي يهجو فيها سارية بن زنيم قائلاً:-

أسارية الذي يهدى إلينا قصائده ولم يعلم حفيلى

إلى آخر القصيدة ، فأجابه سارية بن زنيم قائلاً:-

بلي إني بلوت لديك شعراً	قليلاً عند تنبال ذليل
قعود في بيوت واضعات	يشوبون النواطل بالثميل
كأنكم تيوس الشرك غدت	على أذقانها بشفا قفيل
فإننا يوم أعزار فعلنا	بكم فقماء واضحة المثل ^(١)

ومن شعرائهم أيضاً أبو أناس الديلى من بنى الدليل وهو من أشرفهم وعمه سارية بن زنيم^(٢)، وقد خلط البعض بينه وبين أنس السابق ذكره، وبين أشعارهم، فهناك مصادر تذكر أنه أخو سارية بن زنيم^(٣)، وأخرى تذكر أنه ابن أخيه^(٤)، ولعل اللبس بين تلك الآراء يرجع سببها إلى أنس الذى هجا النبي - صلى الله عليه وسلم - قد سمي ابنه باسمه، فيكون

(١) أبو سعيد السكري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣١، ٧٣٣.

(٢) ابن عبد البر: الإستيعاب، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ج ٤، ص ٦.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) ابن عبد البر: الإستيعاب، ج ٤، ص ٦.

بذلك أنس الأب هو أخو سارية أما الابن فهو عمه سارية، وكان أنس الابن أعور، قال لمصعب بن الزبير يعاتبه:-

تسهل لي ولا تعرض لصرمي أبا عيسى فإن أبا أناس
بنى لي في العفاف وفي المعالي مآثره فلست لها بناس

ويقال أن الآيات التي قالها أنس التي أرسلها لعبد الله بن الزبير لأنس هذا ويبدو أن هذا هو الصحيح^(١).

ومنهم أيضاً أسيد بن أبي إياس، وقد نسب إليه ابن الأثير الشعر الذي قاله أنس بن زنيم في هجاء النبي ثم مدحه بعد ذلك^(٢)، ولا شك أن ذلك خلط من ابن الأثير، لأن الصواب أن قائل هذا الشعر هو أنس بن زنيم والذي قال فيها معتذراً للنبي - صلى الله عليه وسلم -:

أنت الذي تهدي معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد^(٣)

ومنهم أيضاً الأخرز بن لعط الديلي وهو القائل فيما كان بين بني كنانة وخزاعة في الأحداث التي تسببت في فتح مكة كما سبق توضيح ذلك:

(١) البلاذري: ج ١١ ص ١٠٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢ ص ٧٢٦.

(٢) أسد الغابة، ج ١ ص ٢٣٦.

(٣) الواقدي: المعازي: ج ٢ ص ٢٣٣، ٢٤٣؛ ابن هشام: ج ٤ ص ٤٤؛ البلاذري، ج ١١ ص ١٠٨؛

الشامي: سبل الهدى: ج ٥ ص ٣٩٤.

ألا هل أتى قصوى الأحباش^(١) أننا رددنا بني كعب بأفوق ناصل
حسناهم في دارة العبد رافع وعند بديل محبساً غير طائل^(٢)

ومنهم أيضاً أهبان بن لعط بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن
عدي بن الدليل، وكان شاعراً وفارساً^(٣)، وهو القائل لأبي بئنه الصاهلي:

ألا أبلغ لديك بني قريم مغلغلة يجيء بها الخير
فردوا لي الموالى ثم حلوا مرابعكم إذا مطر الوتير^(٤)

أما عن أشهر من أخرجه مجتمع الأحباش من الشعراء والنحاة
والمفسرين واللغويين على الإطلاق فهو أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم
بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن
الدليل^(٥)، وقيل اسمه عثمان بن عمرو بن سفيان^(٦)، وقيل اسمه عمرو بن
سفيان^(٧)، وقد رجح البلاذري الرأي الأول وهو الأرجح^(٨)، وقد كان أبو
الأسود معدوداً في طبقات الناس، وهو في كلها مقدم مأثور عنه في

(١) في رواية الواقدي "العشيرة".

(٢) الواقدي: ج ٢ ص ٢٣٠؛ ابن هشام: ج ٤ ص ١٩.

(٣) الأمدى: المؤلف والمختلف، ص ٣٥.

(٤) السكري: المصدر السابق، ج ٢ ص ٧٢٦؛ الأمدى: ص ٣٥.

(٥) ابن حبيب: المؤلف والمختلف، ص ٤٧، البلاذري: ج ١١ ص ١١٠؛ ابن حزم، ص ١٨٥؛ ابن
الأثير: اللباب، دار صاد، بيروت، د.ت، ج ١ ص ٥١٤؛ ابن ماكولا، الإكمال: ج ٣ ص ٣٤٧.

(٦) ابن حبيب: المصدر السابق، ص ٤٧.

(٧) ابن الأثير: اللباب، ج ١ ص ٥١٤.

(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١١ ص ١١٠.

جميعها، كان معدوداً في التابعين^(١) والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلح الأشراف^(٢) وكان شاعراً بليغاً له ديوان شعر صنعه أبو سعيد السكري وهو مطبوع ومتداول.

ومن شعر أبي الأسود:-

أمنت على السر امرء غير حازم ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت لثقوب^(٣)

ومنهم أيضاً أبو غفر الدؤلي، وكان من الذين يحضرون مجالس عبد الملك بن مروان^(٤).

ومن بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة عمرو بن كلثوم القائل:-

ألا ليت أن الله أسمع دعوة وأرسل بين الأخشيين منادياً^(٥)

(١) يقال أنه من الصحابة حيث ولد قبل الهجرة بستة عشر سنة، وشهد مع المسلمون بدرأ، ويقال أن أبيه قتل في أحد المشاهد بين المسلمين والمشركين في بدر أو أحد وقد سبق ذكر ذلك للملاحظ: البيان والتبيين، ج ١ ص ٣٢٤، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧١٩، الحموي: معجم الأدباء، تحقيق/إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٤٦٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٨٤.

(٢) أبو سعيد السكري: ديوان أبو الأسود، تحقيق/ محمد حسن، دار الهلال، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٤٥.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢ ص ٥٣٦.

(٥) إبراهيم النعانة: المرجع السابق، ص ٢٤١.

أما عن شعراء بنى الهون والقارة، فمنهم عمرو بن عبد العزى القاري وهو القائل يحرض بني معيص بن عامر بن لؤي على بنى ليث في قتل نوفل بن عمرو في الجاهلية:-

اسمعوا تسمعون أمراً عجاباً	أمعيص بن عامر بن لؤي
غلقنا دون حقنا أبواباً	تلکم يعمر وکلب بن عوف
وبنى الهون أصبحوا غياباً	عزهم أن حارثاً أفردونا
أيجاب الذى ينادى السراباً ^(١)	فدعوناكم فقالوا ضللاً

ومن بنى الهون أيضاً عبد شمس بن قيس وهو القائل:-

كناثة أم هم قوم نيام	أعازبة حلوم بنى أبينا
فقومكم وإن قلوا كرام	فإن يك فيكم كرم وعز
فنبتك القرابة والذمام	دعونا قارة لا تنفرونا
فبأنت عن مساكنها جذام ^(٢)	كما جلّت بنو أسد جذاما

وأما بنو المصطلق فكان من أشهر شعرائهم سويد بن عامر المصطلقى وقد بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - قول سويد:-

إن المنايا بجنبي كل إنسان	لا تأمن وإن أمسيت في حرم
حتى تلاقي ما يمنى لك المانى	وأسلك طريقك تمشى غير مختشع

(١) المرزبانى: معجم الشعراء، ص ٣٥-٣٦.

(٢) البلاذرى: ج ١ ص ٧٧.

وكل ذى صاحب يوماً مفارقة
والخير والشر مقرونان في قرن
وكل زاد وإن ابقيته فأنى
بكل ذاك يأتيك الجديدان

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لو أدرك هذا الإسلام لأسلم^(١).

هؤلاء هم أشهر شعراء الأحابيش في عصري الجاهلية و صدر الإسلام.

دور مسلموا الأحابيش في العلوم الدينية:-

لقد كان لمسلمي الأحابيش إهتماماً كبيراً بالعلوم الدينية وبرز منهم العديد من العلماء في مختلف الفروع، فعلى سبيل المثال علم قراءة القرآن، فقد نزل القرآن باللغة العربية بلهجة الكعبين كعب بن لؤى، وكعب بن عمرو بن لحي الخزاعي، وذلك أن دارهم كانت واحدة^(٢).

بالإضافة لوجود بعض الكلمات باللهجات العربية الأخرى واللغات الأخرى كالحبشية^(٣)، وقد روى الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قراءته للقرآن بطرقه المختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها^(٤)، لذا كان من الضروري أن يهتم المسلمون الأوائل بالقرآن من

(١) ابن عبد البر: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٨٨، الفاسي: العقد الثمين، ج ٦ ص ٦٦.

(٢) ابن عبد البر: الإنباه، ص ٩٩.

(٣) هناك العديد من الكلمات القرآن الكريم يرى العلماء أنها حبشية مثل الجيت (يؤمنون

بالجيت) "النساء: ٥٦"، وتعنى الشيطان بالحبشية، وأواه (إن إبراهيم لأواه حلیم) "التوبة: ١١٤"،

بمعنى المؤمن بلسان الحبشة وغيرها من الكلمات، السيوطي: رفع شأن الحبشان، ص ٣١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

حيث تلاوته وتفسيره، وقد كان من المهتمين بعلم القراءة من مسلمي الأحابيش أبو الأسود الدؤلي وابنه أبو حرب بن أبي الأسود، وقد قرأ أبو الأسود على علي وعمر وأبي بن كعب وابن مسعود وأبي ذر والكبار - رضي الله عنهم - ومن أبي الأسود أخذ عنه ابنه أبو حرب، ويحي بن يعمر بريدة وغيرهم^(١).

وكما برع أبو الأسود الدؤلي في علم القراءة برع أيضاً في علم التفسير وفي الفقه كان أيضاً معدوداً في الفقهاء^(٢)، وكان من المهتمين بالفقه أيضاً ويتبعه النحام الكناني من بني مالك بن كنانة وكان من الذين سمع من أبي موسى الأشعري^(٣).

أما القضاء والإفتاء، فكان أبو الأسود الدؤلي من الذين نزلوا الإفتاء في البصرة، وكان يقال للمفتي آنذاك القاضي، وقد كان ابن عباس والي البصرة ومفتيها.

(١) الذهبي: طبقات القراء، تحقيق/أحمد خان، ط١، ١٩٩٧م، ج١ ص٣٦؛ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق/ برجستر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج١ ص٣١٤.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ص١٤٦٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج٤ ص٨٤.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج١ ص٢٠٠.

فعندما كان يشخص إلى علي بن أبي طالب كان يستخلف أبا الأسود على قضاء البصرة، فكان هو المفتي والقاضي^(١).

أما عن علم الحديث: فعلم الحديث هو العلم الذي يشتمل على نقل أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها^(٢).

وقد برز العديد من الأحباش الذين أسلموا وأبناؤهم في طلب الحديث وروايته، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:-

عبد الله بن عبد القاري، سمع من أبيه وعمر وطلحة وأبي أيوب^(٣)، ومنهم أيضاً عبد الرحمن بن عبد القاري^(٤) وقيل عبد الرحمن بن عبد الله القاري يروي عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، روى عنه عروة بن الزبير وحميد بن عبد الرحمن وغيرهما، مات سنة ثمان وثمانين وهو ابن ثمان وسبعين سنة^(٥)، ومنهم أيضاً عبد الله بن عمرو بن عبد القاري^(٦)،

(١) وكيع: أخبار القضاة، تحقيق/سعيد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص ١٨٣-١٨٤.

وكان مفتو العرب قبل الإسلام في بني مالك بن كنانة. ابن حبيب: المحبر، ص ١٧٤.

(٢) على عبد الحليم: التعريف بسنة الرسول، دارالتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٢٢.

(٣) البخارى: التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ١٤١؛ الفسوى:

ج ١ ص ١٨٣؛ المزى: تهذيب الكمال، ج ١٥ ص ٢٤٨.

(٤) الفسوى: ج ١ ص ١٨٣.

(٥) البخارى: التاريخ الكبير، ج ٣ ص ٣٠٢؛ ابن الأثير: اللباب، ج ٣ ص ٦.

(٦) المزى: تهذيب الكمال، ج ١٥ ص ١٥٣٦٣.

والسائب ابن عمير القاري^(١)، وعبد الله بن عثمان بن خثيم القاري^(٢).
ومنهم عمرو ابن القاري الذي أوصاه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن
يدفن سعد بن أبي وقاص عندما يتوفى بنحو طريق المدينة، وأشار النبي
إلى البقيع حيث دفن سعداً هناك^(٣).

ومن بني المصطلق أم المؤمنين جويرية بنت الحارث لها سبعة
أحاديث منها حديث عند البخاري في الصيام وحديثان عند مسلم^(٤).

ومن بني المصطلق أيضاً عمرو بن الحارث المصطلق أخو جويرية
بنت الحارث أم المؤمنين، فكان يعد في الكوفيين^(٥).

و يعد عمرو بن الحارث من الثقات^(٦).

ومن الرواة من بني المصطلق أيضاً مسلم الخزاعي المصطلق، الذي
روى عنه ابنه عمرو، ويزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي المصطلق^(٧).

(١) ابن حجر: الإصابة، ج ٥ ص ٥.

(٢) المزي: تهذيب الكمال، ج ٣ ص ٢٧٩.

(٣) البغوي: معرفة الصحابة، ص ١٣٢، ١٩٩٤.

(٤) ابن حزم: أسماء الصحابة، تحقيق/مسعد السعدني، مكتبة الساعي، جدة، د.ت، ص ٥٣.

(٥) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ص ٢٠٠٢.

(٦) العجلي: معرفة الثقات، تحقيق/عبد العليم عبد العظيم، القاهرة، د.ت، ج ١ ص ١٧٣.

(٧) البغوي: معجم الصحابة، ج ٥ ص ٣١٢، أبي نعيم: معرفة الصحابة ص ٢٤٨٤.

ومن بنى الدؤل ربيعة بن عباد الديلي، وقد عمر طويلاً، روى عنه ابن المنكدر وأبو الزناد وزيد بن أسلم^(١)، ومنهم محجن بن أبي محجن الديلي.

و قد روى عنه ابنه بسر، وزيد بن أسلم^(٢).

ومنهم أيضاً نوفل بن معاوية الديلي، وقد سبق الحديث عنه مراراً، روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبد الرحمن بن مطيع و سنان بن أبي سنان الدؤلي^(٣) وكذلك أبو سنان الديلي وهما من الثقات^(٤)، وعراك بن مالك^(٥)، ولنوفل تسع أحاديث^(٦)، ومنهم أيضاً أبو الأسود الدؤلي وهو من الثقات^(٧).

ومنهم أيضاً عكرمة بن محمد الدؤلي^(٨)، وكانت أخته من المهمات بالحديث والتحقق منه ، فيروى أن أخته قد أرسلته إلى أبي هريرة تسأله عن من قال: "لا إله إلا الله عشر مرات"، فقال له أبو هريرة: "كلمات قالها

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ١ ص ٢٤٥؛ ابن الأثير: أمد الغابة، ج ٢ ص ٢٦٤.

(٢) ابن الأثير: السابق، ج ٥ ص ٦٥.

(٣) الغساني: تقييد المهمل، ج ١ ص ١٨٢.

(٤) العجلي: معرفة الثقات، ج ١ ص ٤٠٦، ٤٣٨.

(٥) ابن عبد البر: السابق، ج ٣ ص ٢٣١؛ ابن الأثير: ج ٥ ص ٣٤٩.

(٦) ابن حزم: أسماء الصحابة، ص ٤٩.

(٧) العجلي: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٨٤.

(٨) البخاري: السابق، ج ٤ ص ٥٠؛ الفسوي: ج ١ ص ٢٠٠.

أحدكم عشر مرات فهي عدل رقبة فلا تعجزن أن تستكثروا من الرقاب" (١).

وكان منهم أيضاً أبو الأسود الدؤلي، وقد عده ابن خياط في الطبقة الأولى من محدثي البصرة (٢)، وخرج له أحمد بن حنبل العديد من الأحاديث في سنده كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - بول الغلام ينضح عليه وبول الجارية يغسل (٣).

و من القارة: سفيان بن عوف القاري، وهو مصري تابعي ثقة (٤).

ومن بني مالك بن كنانة كانت أم حكيم رميثة بنت الحارث، روت عن عائشة أم المؤمنين (٥).

أما عن علم العربية أو النحو: فكفى للأحابيش فخراً أن كان منهم أبو الأسود الذي أرسى قواعد هذا العلم المهم، فلقد كانت اللغة العربية سليمة من الفساد خالصة من الشوب والإسلام لا يزال في ريعانه واندفاع موجته، والعرب في أمر الأدب على إرث من جاهليتهم يأخذون في سمتها ويتجاذبون على منهاجها، فيسمرون بالأخبار ويتجملون بالأشعار

(١) الفسوى: ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) ابن خياط: طبقات خليفة، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣) ابن حنبل: المسند، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، حديث رقم: ٥٦٣.

(٤) العجلي: المصدر السابق: ج ١ ص ٤١٦.

(٥) البلاذري: ج ١١ ص ١٤٦.

لا يرون إلا أن ذلك علم آبائهم وإرث أبنائهم^(١)، وابتسموا على ذلك في جاهليتهم وإسلامهم في عقد النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أنه بالرغم من لهجات بعض القبائل العربية إلا أن ذلك لم يؤثر على سلامة اللغة، فقد كانت وفود العرب تأتي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والنبي يخاطبهم على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وعلى ما في لغاتهم من اختلاف الأوضاع وتفاوت الدلالات في المعاني اللغوية على حين أن الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن يفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - من وفود العرب الذين لا يوجه إليه الخطاب كانوا يجهلون من ذلك أشياء كثيرة، حتى إن علياً بن أبي طالب - رضى الله عنه - سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاطب وفد بني نهد فقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوضح لهم ما يسألونه عن مما يجهلون معناه من تلك الكلمات ولكنهم كانوا يرون هذا الاختلاف فطرياً في العرب فلم يلتفتوا إليه^(٢).

لكن لما أخذ الإسلام في الانتشار في ربوع شبه الجزيرة العربية وغيرها وتآلفت القلوب اختلطت الأمم بعضها ببعض فكادت العربية أن تتلاشى فدعا ذلك أمير المؤمنين علياً - رضى الله عنه - أن أضل فيها

(١) مصطفى الراجعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٧٤،

ج ١ ص ٣٢٢.

(٢) مصطفى الراجعي: تاريخ آداب العرب، ج ١ ص ٣٢٣.

أصولاً أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي وكان يراجعها فيها إلى أن حصل من أصولها ما فيه كفاية^(١).

ولقد كان الاهتمام بالعربية يرجع إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري أما بعد، فتفقهوا في الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية، وتعلموا طعن الدرية، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب^(٢).

هذا ولقد اختلف العلماء حول الأسباب التي دفعت أبا الأسود إلى وضع علم العربية أو النحو، على العلم أنهم يكادون أن يجمعوا على أن أبا الأسود قد تلقى النحو على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولعل أهم الأسباب التي قيلت في دفع أبا الأسود لوضع علم النحو قيل أن أبا الأسود دخل يوماً على أمير المؤمنين علي فرآه مطرقاً منكرأ فقال له أبو الأسود فيم تفكر يا أمير المؤمنين، قال: سمعت ببلدكم لحنأ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية، ثم بعد عدة أيام جاء أبو الأسود إلى الإمام علي فأعطاه الإمام صحيفة فيها:-

(١) النويري السكندري: الإلمام، تحقيق/ عزيز سوريال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٠، ج١ ص ٤٩-٥٠.

(٢) القفطي: انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٦م، ج١ ص ٥١.

" بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل".

ثم قال لأبي الأسود: تتبعه، وزد فيه ما وقع لك، وأعلم أن الأشياء ثلاثة، ظاهر، ومضمر، وشئ ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر.

قال أبو الأسود: فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنَّ وأنَّ، ولعلَّ، وكأنَّ، ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى هي منها، فزدها فيها^(١).

ويروى عن أبي الأسود أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأخرج لي رقعة فيها: الكلام كله اسم وفعل وحرف، جاء المعنى. قال: فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت فساداً في كلام بعض أهلي، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو على علي - رضي الله عنه - ولم يظهره لأحد^(٢).

ثم إن زياداً^(٣) سمع بشيء مما عند أبي الأسود، ورأى اللحن قد فشا، فقال لأبي الأسود، أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً، فامتنع أبو الأسود

(١) القفطي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣) زياد بن أبيه: هو زياد بن سميه الذي انتسب إلى أبو سفيان بن حرب.

من ذلك وسأله الإعفاء، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله)^(١) بالكسر فقال: ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فلْيُتَغْنِي كاتِباً لِقْنَا يَفْعَل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بكاتب آخر من عبد القيس - على ما يروى - فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن سكنت الكلمة بالتنوين فأجعل أمارة ذلك نقطتين، ففعل ذلك، وكان أول ما وضعه لهذا السبب^(٢).

ويقال أن أبو الأسود قد جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وقد تغيرت ألسنتها، أفتأذن إلي أن أضع كلاماً يعرفون - أو يقوّمون - به كلامهم؟

قال: لا.

(١) سورة التوبة: آية ٣، أي بوضع الكسر تحت رسوله، بدلاً من الضم، فيصير المعنى أن الله بريء من المشركين وبرئ من رسوله، بدلاً من أن يكون الله ورسوله بريئان من المشركين.

(٢) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق/ طه محمد، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط١،

١٩٥٥م، ص ١١٢؛ القفطي: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٠.

فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنونا. فقال زياد: توفي أبانا وترك بنونا!؟ أدعوا لي أبا الأسود، فلما جاء أبو الأسود، قال له: ضع للناس ما أردت أن تضع لهم^(١).

وقيل: إن زياداً بن أبيه قال لأبي الأسود: إن بنى يلحنون في القرآن، فلو رسمت لهم رسماً، فنقط المصحف، فقال: إن الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم، فلو وضعت لهم كلاماً فوضع العربية^(٢).

وهناك سبباً آخر، يقول: أن ابنه لأبي الأسود قالت له: يا أبت ما أشد الحر! في يوم شديد الحر، فقال لها: إذا كانت الصقعاء - أي الشمس - من فوقك والرمضاء من تحتك، فقالت إنما أردت أن الحر شديد، فقال لها: فقولني إذن ما أشد الحر!^(٣).

وقيل: إن أبا الأسود دخل إلى منزله فقالت له بعض بناته: ما أحسن السماء! قال: أي بنية، نجومها، فقالت: إنى لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها، فقال: إذا قولني: ما أحسن السماء! فحينئذ وضع كتاباً^(٤).

(١) الزبيدي الأندلسي: طبقات النحويين، تحقيق/ محمد أبو الفصل، دار المعارف، ط ٢، د.ت، ص ٢١؛ الحسن العسكري: المصون، تحقيق/ عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، ص ١١٨.

(٢) السيرافي: أخبار النحويين، ص ٥١.

(٣) الزبيدي الأندلسي: المصدر السابق، ٢١؛ السيرافي: ص ١٤؛ القفطي: ج ١ ص ٥١.

(٤) السيرافي: ص ١٤؛ القفطي: ج ١ ص ٥١.

وهناك أسباب أخرى دفعت أبا الأسود لوضع علم النحو الذي سمي بالنحو لأنه وضعه علي نحو ما تعلمه من علي بن أبي طالب، فقد سئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى وضع علم النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب - رحمه الله - وفي حديث آخر، قال: ألقى إلي علي أصولاً احتذيت عليها^(١)، فيستفاد من ذلك أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه - هو أول من تكلم في النحو على الإطلاق، ثم كان أبو الأسود أول من تكلم في النحو بالبصرة^(٢).

وعلى الرغم من إجماع أكثر وإن شئت قل كل أهل العلم أن الذي وضع علم العربية (النحو) هو أبو الأسود، إلا أن هناك بعض الباحثين قد شككوا في أن يكون أبو الأسود هو من قام بذلك أمثال علي أكبر دهخدا الذي اعتبر ذلك أسطورة وخرافة^(٣) ولا حاجة للرد على هذا الرأي، لأن الإجابة عنه أشهر من الرد على ذلك الادعاء الباطل.

(١) الزبيدي الأندلسي: ص ٢١.

(٢) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، تحقيق/ مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ١٩٩٥، ص ١٢٠.

(٣) ديوان أبو الأسود، ص ٢٠ (مقدمة المحقق): ولد الميرزا علي أكبر في طهران، وتولي بعض

المناصب كرئاسته ديوان وزارة المعارف، ورئاسة تفتيش وزارة العدل ورئاسة مدرسة الحقوق العليا والعلوم السياسية، وغيرها من المناصب، وله بعض الكتب أشهرها "لغة نامة" توفي سنة ١٩٥٥م، باختصار من موقع الإضافة الثقافية، كان النقل يوم السبت ١٩ مايو ٢٠١٠، عصرًا.

www. Alehkaky. Net

أما عن الأسباب التي سبق عرضها، وقد يكون هناك أسباباً أخرى قد دفعت أبي الأسود إلى وضع علم العربية، فمهما كانت تلك الأسباب، فإنها قد دفعت أبو الأسود في نهاية الأمر لوضع علم النحو، خاصة عقب سماعه للقرائه الخاطئة للآية الثالثة من سورة التوبة، فقام عندئذ بوضع علم العربية، لأنه يقال إن بعد هذه الحادثة كان أول وضع أبي الأسود لعلم العربية لهذا السبب^(١).

هذا وقد عرفت الصحيفة التي وضعها أبو الأسود في العربية باسم تعليقة أبي الأسود^(٢)، وهناك أدلة تؤيد وجود هذه الصحيفة أو على الأقل نسخ منها، فيذكر ابن النديم أنه رأى عند شخص يدعى ابن أبي بكرة بمدينة الحديثة بالعراق نحو ثلثمائة رطل جلود وصكاك وقرطاس وورق وجلود آدم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشئ من النحو والحكايات والأخبار والأسماء والأنساب، لبعض الصحابة كالحسن والحسين وأبيهما على - رضوان الله عليهم - وبعض التابعين والعلماء، منها أربعة أوراق من ورق الصين تدل على أن النحو وضعه أبو الأسود، ومكتوب على تلك الأوراق هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود - رحمة الله عليه - بخط يحيى بن يعمر^(٣)، وتحت هذا الخط بخط عتيق: هذا خط فلان النحوي، وتحت هذا خط النضر بن

(١) القفطي: ج ١ ص ٤٠.

(٢) الرافعي: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٨٣.

(٣) من أبرز من أخذ النحو عن أبي الأسود. ابن النديم: الفهرست، ص ٦٧.

شميل ويقول ابن النديم إن هذه الأوراق التي رآها عن ابن أبي بعرة الأوراق قد فقدت بعد موته^(١).

ويذكر القفطي أنه رأى بمصر بأيدي الوراقين جزء فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي^(٢).

الأحابيش والأمثال العربية: -

إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء، ويقال إن الكلمة مأخوذة من العبرية، ففيها كلمة "مثل" حيث يطلقونها على الحكمة السائرة وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وعلى الأساطير^(٣)، ومن خلال الأمثال نستطيع أن نتفهم ونعرف الكثير من أخلاق وعادات الأمم، ولقد اهتم العربي اهتماماً كبيراً بالأمثال كاعتنائهم بالشعر الذي يعتبر ديوانهم الذي يسجلون فيه الكثير من أخبارهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولقد اهتم العلماء المسلمون منذ القدم بتدوين الأمثال العربية وذكر المناسبات التي قيلت فيها، فهناك أمثال العرب للضبي، وخرائد الفرائد في الأمثال للخويي، ومجمع الأمثال للميداني وغيرهم الكثير، ولن نتعرض للدراسة لكل الأمثال، بل ستعرض بعض النماذج التي كان لقبائل الأحابيش علاقة بها، ومن ذلك:-

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ٦٥-٦٦.

(٢) القفطي: ج ١ ص ٤٠.

(٣) أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٦٠.

"قد أنصف القارة من رامها"، وقد ذكرت مناسبة هذا المثل فيما سبق، ويقال للقارة وهم أرمى العرب، وكانوا يعرفون برماة الحدق^(١)، وهذا شيء متأصل فيهم منذ القدم، فقد سأل هارون الرشيد ذات يوم الأصمعي عن معنى هذه الكلمة، فكان مما أجاب به الأصمعي، أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان، وفي إحدى حروبه ضد السغد، خرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال: أين رماة العرب؟ فقالت العرب قد أنصف القارة من رامها^(٢).

وقيل أن رجلين التقيا في مسابقة أحدهما قاري، فقال القاري: إن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال الآخر، قد اخترت المراماة، فقال القاري: قد أنصفتني، وأنشأ يقول: قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاهها على أخراها.

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده^(٣)، وقيل غير ذلك كما سبق القول.

ومن الأمثال الأخرى التي تتعلق ببعض قبائل الأحاييش "أسرع من نكاح أم خارجة"، وهي عمرة بنت سعد^(٤) بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة من

(١) الخوي: فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق/عبد الرزاق حسين، درا النفائس، الأردن، د.ت، ص ٤٠٣.

(٢) البغدادي: خزنة الأدب، تحقيق/عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٧م، ج ٤ ص ٤٥٦.

(٣) الخوي: المصدر السابق، ص ٤٠٣.

(٤) وقيل بنت سحمة بن سعد بن عبد الله.. إلخ. الضبي: أمثال العرب، ص ١١.

بني كهلان بن سبأ كانت ذات جمال وكانت كثيرة الزواج، وقد عرف عنها أنها كانت كثيرة الإنجاب والإسراع فيه، ومن بين الذين انجبتهم سعد أبو المصطلق والحيا الأحابيش وكذلك ليث بن بكر والديل بن بكر^(١) الذي منهم الأحابيش خاصة بنو نفاثة.

ومن الأمثال التي قالها أحد الأحابيش وانتشرت "لم أبع داري ولكن بعث جاري"، وتنسب إلى أبي الأسود الدؤلي، فقد كان له جار كلما أمسى يرمي أبا الأسود بالحجارة ويؤذيه، ولما ضاق أبو الأسود ذرعاً من ذلك باع داره واشترى داراً في هذيل، فقبل له: يا أبا الأسود أبعث دارك ا قال: لم أبع داري ولكن بعث جاري، فأرسلها مثلاً^(٢).

ومما قيل من الأمثال في بني بكر الذين منهم بني الديل الأحابيش "أخوك البكري لا تأمنه"^(٣).

لم تكن الحياة الفكرية وإسهامات أبناء الأحابيش مقتصرة على ما سبق ذكره، بل كان منهم الفصحاء^(٤) والكتاب كأبي الأسود الدؤلي^(٥).

(١) الضبي: أمثال العرب، ص ٧؛ البلاذري: ج ١١ ص ٨٤.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٢ ص ٣٦٩.

(٣) أبو جعفر البلنسي: تذكرة الألباب بأصول الأنساب، ص ٧٥.

(٤) ابن حبيب: المعجب، ص ٢٤٥.

(٥) الأصفهاني: ج ١٢ ص ٣٥٠.

كما كان هناك أندية يلتقون فيها قد تكون كأندية العصر الحديث يتحاورون ويتسامرون فيها دار أم أنمار القارية، وكانت برزة من النساء، كان رجال قريش يجلسون بفنائها يتحدثون وزعم البعض أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس في ذلك المجلس ويتحدث بفنائها^(١).

هذه هي أهم ملامح الحياة الفكرية للأحبابيش في الجاهلية و صدر الإسلام.

(١) الأزرقى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٥٥.

الفصل الثالث

النواحي الاجتماعية للأحابيش

" بني الحارث بن عبد مناة، كانوا أعز بني كنانة وأمنعهم، وأجودهم،
وأنفعهم "

(دَعْفَل لمعاوية بن أبي سفيان)

الحياة الاجتماعية للأحابيش :-

لم تذكر أي من المصادر أو المراجع التي تحدثت عن الأحابيش شيئاً عن ملامح حياتهم الاجتماعية سواء ما يخص عناصر السكان أو مساكنهم أو ملامح حياتهم اليومية إلى غير ذلك من الأشياء التي تخص المجتمع.

وبالرغم من ذلك فإنه ليس من العسير تكوين فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية للأحابيش من خلال الاستقراء المتأنى للمصادر التي أشارت إليهم، وقد ذكرت بعض تلك المصادر على سبيل المثال بعض الأماكن التي كان يسكنها قبائل وعشائر الأحابيش بدون قصد أو قصد، فمثلاً عند حديث كتاب السيرة عن غزوة بني المصطلق يقولون إن النبي قد أغار عليهم وهم عند ماء لهم يسمى المريسيع^(١)، إلى غير ذلك من الأحداث

(١) ابن هشام: ج ٣ ص ١٨٣.

ومثل هذه العبارات نستطيع أن نكون فكرة عامة عن مجتمع الأحباش وعلى كل حال سوف يعرض الباحث صورة واضحة لمجتمع الأحباش بماله وما عليه من سلبيات وإيجابيات.

وعند الحديث عن الحياة الاجتماعية لأي مجتمع كان، فإن أول شيء يتم الحديث عنه هو عناصر السكان، فالنسبة للأحباش، كان الأحباش عرباً كما سبق توضيح ذلك في الصفحات السابقة، لكن هناك نقطة يجب توضيحها عن تقسيم القبائل العربية، وذلك هو اعتقاد البعض أن العرب قبل الإسلام وفترة البعثة كانوا قرشيين لكن هذا خطأ كبير، واعتقاد خاطئ، فالعرب في الفترة ومسرح الأحداث التي بصدد الحديث عنهما كان غالبيتهم من نسل عدنان الذي يرجع أصله إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل والأبناء ما بين عدنان إلى إسماعيل مختلف في اسمهم وعدتهم لذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك ثم قال: "كذب النسابون"^(١)، ومن نسل عدنان خرجت أكثر القبائل العربية العدنانية التي استوطنت معظم أراضي الحجاز، ثم لحق بهم بعض القبائل العربية اليمنية كخزاعة التي منها الحيا والمصطلق الأحباش، وبعض أبناء الأمم الأخرى كاليهود الذين نزح كثير منهم إلى المدينة قبل البعثة.

(١) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١٧.

وما يهمننا من نسل عدنان الآن هو خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن سعد بن عدنان^(١)، فمن خزيمة هذا كان الهون بن خزيمة الذي منه أحد قبائل الأحابيش، وكنانة الذي أنجب النضر ومنه خرج فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة وإليه جماع قريش^(٢)، ومن كنانة أيضاً عبد مناة الذي كان من نسله بنى الحارث وبنى الدليل بن بكر الأحابيش، ومالك بن كنانة، هذا بخلاف خزاعة من الأزد، أما قريش فقد اختلف في سبب تسميته بذلك وكذلك اختلف في الشخص الذي سمي قريشاً، فقيل إن فهرأ بن مالك هو قريش^(٣) ولا يكون من ولد فهر قريش، ولا يكون قرشي إلا منهم ولا من ولد فهر أحد إلا قرشي^(٤)، وقيل أن النضر بن كنانة هو قريش^(٥)، وقيل إن قصياً هو أول من سمي بالقرشي^(٦)، وقيل إن قريشاً سميت بهذا الاسم نسبة إلى قريش بن الحارث^(٧) بن مخلد بن النضر بن كنانة، وكان دليل بنى النضر وصاحب ميرتهم فكانت العزب تقول جاءت عير قريش^(٨).

(١) ابن حزم: المصدر السابق، ص ١١.

(٢) ابن الكلبي: المرجع السابق، ص ٢١. فليس قرشي إلا من ولد فهر وهم قريش ولا قريش غيرهم. ابن حزم: ص ١٢.

(٣) الزبيرى: المرجع السابق، ص ١٢.

(٤) ابن حزم: ص ١٢؛ ابن كثير: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٥) ابن عبد البر، الانباه، ص ٦٨؛ حسين مؤنس: تاريخ قريش، ص ٧١.

(٦) ابن عبد البر: المصدر السابق، ص ٦٨ - ٦٩.

(٧) ويقال اسمه قريش بن بدر بن يخلد بن النضر. الزبيرى: ص ١٢.

(٨) ابن عبد البر: ص ٦٨؛ عواطف أديب سلامة: ص ٣٩.

أما عد سبب التسمية فقيل إن قريشاً سميت بذلك لتجمعهم بمكة حول الحرم، والتجمع بمعنى التقرّيش^(١).

وقيل إن النصر سمي القرشي لأنه جاء ذات يوم في ثوب إلى قومه، فقالوا جاء كأنه جمل قرش، والقرش الشديد^(٢).

وقيل إن قريشاً سميت قريشاً لأنهم أصحاب تجارات وكسب وجمع، يقال لفلان يقرش لعياله أي يكسب لهم ويجمع، ويذكر البلاذري أنه التقى في سنة إحدى وثلاثين ومائتين أعرابياً من كنانة فسأله عن حمار رآه معه فقال له الأعرابي: هو لي أقرش عليه قوت العيال أي أجمعه عليه^(٣)، وقيل أن النصر كان يقرش أو يبحث ويفتش عن حاجة الناس ذوى الفاقة فيقضيها لهم^(٤)، وقيل إن قريشاً سميت بذلك لأنها تجمعت بعد تفرقها والتجمع يعنى التقرّيش^(٥).

وقيل سميت قريش قريشاً لدابة تكون في البحر يقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين إلا أكله، فسميت قريش تصغيراً للقرش، وقال الشاعر:

(١) ابن عبد البر: ص ٦٨.

(٢) البلاذري: ج ١١، ص ٤٨١، ابن عبد البر: ص ٦٨.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١ ص ٨١.

(٤) عواطف أديب: المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠.

(٥) خضير الجميلي: المصدر السابق، ص ٤٠.

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً^(١)

هذه هي أهم الأسباب التي من أجلها قيل أن قريش تسميت بقريشاً ولن يقف الباحث كثيراً أمام تحليل هذه الأسباب ونقدها، لأن هذا قد تعرض له بعض المؤرخين والباحثين ويمكن الرجوع إليهم لمن يريد ذلك^(٢)، ولكن من المحتمل أن اسم قريش يرجع إلى قبل عصر قصي بن كلاب، فقد عُثر على نقش في حضرموت ينسب إلى الملك ايلعز يليط^(٣) ذكر فيه بعض الوفود إلى الملك وكان من ضمن الوفود أو حاشية الملك "عشر نساء قرشيات"^(٤)، مما يدل على قدم تسمية قريش بهذا الاسم.

ولقد كانت قريش منقسمة قبل قدوم قصي إلى قسمين، القسم الأول هم قريش الظواهر وسبق توضيح ذلك، والثاني قريش البطاح وسبق توضيح ذلك أيضاً، وتسمى قريش البطاح بالضرب للزومها الحرم^(٥).

أما عن الأحابيش فكانوا كما ذكرنا من قبل أنهم عرب، وكانوا ذوي مكانة رفيعة بين القبائل العربية الأخرى، فعلى سبيل المثال كان بنو

(١) ابن كثير: ج ٢ ص ٢٠٥.

(٢) مثل البداية والنهاية لأبن كثير، تاريخ قريش لحسين مؤنس، وقبيلة قريش لخضر الجميل، وقبيلة قريش لعواطف أديب سلامة.

(٣) حكم حضرموت في القرن ٣م.

(٤) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص ١٠٠، عبد العزيز صالح، المصدر السابق، ص ١٧٨؛ محمد عبد القادر بافقيه: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) البلاذري: ج ١ ص ٣٩.

الحارث ابن عبد مناة من أعز أبناء بنى كنانة في المكانة^(١)، ولمكانة
وفضل قبائل الأحابيش تسابق بطون قريش المختلفة إلى مصاهرتهم
والزواج منهم - وسيوضح الباحث ذلك في الصفحات التالية-

أما ما ادعاه أحد الباحثين من أن بعض قبائل وعشائر الأحابيش ليسوا
من بنى كنانة، وأنهم دخلاء كعضل والقارة والهون^(٢) فإن ذلك لا أساس
له من الصحة ولم يذكره أي مصدر.

ولقد كان رجال الأحابيش يعشقون الحرية ويأبون الوقوع في الأسر،
ولعل من الأمثلة على ذلك هو استماتة أحد بنى جذيمة يوم الغميصاء في
الدفاع عن النسوة اللاتي كن معه أثناء إغارة خالد بن الوليد عليهم^(٣).

وكان للأحباش موالى مثل آل زاروية موالى القارة^(٤)، وكذلك كان لهم
عبيد يقومون على خدمة ساداتهم مثلهم مثل القبائل الأخرى كقرين لكن
ما يلفت النظر ويستحق الإشارة إليه في مجتمع الأحابيش هو وضع
المرأة، فلقد كان لنساء الأحابيش مكانة كبيرة في المجتمع فكانت محاربة
كعمرة العلقمية، التي رفعت اللواء الخاص بالمشركين يوم أحد بعد أن
كان صريعاً لا يجرؤ أحد على التقدم لحمله، فتقدمت هي وحملته مما

(١) القالي: المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٥.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٣) ابن سعد: ج ٢، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ١ ص ٥١.

جعل المشركين يعودون للقتال بعد أن فروا؛ وقد سجل الصحابي حسان بن ثابت ذلك في شعره:

عمرة تحمل اللواء وصدت عن صدور القنا بنو مخزوم^(١)

ولم يقتصر دور عمرة على ذلك بل حملت السيف وقاتلت به أيضاً^(٢).

ولقد كان للمرأة أيضاً دوراً سياسياً كبيراً في مجتمع الأحاييش وكانت تشارك في عقد الأحلاف مثل ربيعة بنت عبد مناف زوجة معيط بن عوف من بني الحارث بن عبد مناة التي كان لها دور في جر حلف الأحاييش^(٣) كما ظهر فضل بعض نساء الأحاييش مثل السيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية التي لأجلها وأكراماً لها عتق كل أسير من أسرى بني المصطلق^(٤).

كما كان لنساء الأحاييش مواقف مشهودة في الأحداث التي شهدتها المسلمون في صدر الإسلام، فعندما أغار بسر بن أبي أرطاه على اليمن وقتل ما قتل، خرجت أم حكيم جامعة النساء منددين بما فعله بسر خاصة بعد أن قتل عبد الله، وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن عباس وأمهما أم

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج ١١ ص ١٣٧.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) الزبيرى: المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص ١٣٠؛ ابن زنجوية: الأموال، تحقيق/ شاعر ذيب، مركز الملك فيصل

للبحوث، السعودية، د.ت، ص ٣١٩.

حكيم، فذبحهما^(١). وكانت أم حكيم من شاعرات العرب، كما سبق ذكر ذلك، وكان هناك تاجرات كأم أنمار القارية^(٢).

وجدير بالذكر أن مجتمع الأحابيش لم يكن من ضمن القبائل التي كانت تقوم بعادة وأد البنات، والوآد هو دفن البنت حية، والوآد كلمة تدل على إثقال شيء بشيء، وقيل للموءودة موءودة لأنها تدفن حية تثقل بالتراب الذي يعلوها^(٣)، وكان سبب هذه الفعلة هو خشية الفقر^(٤)، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾^(٥).

وهناك أسباب أخرى حملت من يقوم بهذا الفعل على فعله خشية أن تقع البنت في السبى اثناء الحروب، فينتهك شرفها^(٦)، وكذلك كثرة المجاعات التي كان يتعرض لها العديد من القبائل لقلة سقوط الأمطار^(٧) فكانوا يدفنون البنت حية كراهية أن تأكل من طعامهم^(٨).

(١) عمر كحاله: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٨٣.

(٢) الفاكهي: ج ٣ ص ٣١٧.

(٣) ابن فارس: السابق، ص ٩٤٥.

(٤) ابن حبيب: المنمق، ص ٣٣٦.

(٥) سورة الإسراء: آية ٣١.

(٦) على إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ٥٠٨.

(٧) على إبراهيم: ص ٥٠٨.

(٨) محمد الخضرى: الدولة الأموية، ص ٢٥٧.

كما كان بعض البنات بهن صفات مرضية يتشائم منها كأن تكون سوداء أو برصاء أو كسحاء^(١) فكانت تمثل عبثاً على أهلها أثناء الترحال.

أما عن سبب ظهور هذه العادة، فقليل أن أول من ابتدئها قيس بن عاصم التميمي^(٢)، وسبب ذلك أن بنى تميم قد منعت الإتاوة التي كانت تدفعها للنعمان بن المنذر، فجرد إليهم النعمان كتيبته الدوسر بقيادة أخيه الريان فاستاق نعم بنى تميم وسبى ذراريهم، فوفدت وفود تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري، فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأبي امرأة اختارت زوجها ردت عليه، فاختلفن في الاختيار وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم، فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب فوأسع عشرة بنتاً^(٣)، وقد ذكرت إحدى الروايات أن قيس قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - إنى وأدت اثني عشر بنتاً أو ثلاث عشر بنتاً، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - اعتق عن كل واحدة منهن نسمة^(٤).

(١) هدى الزويد: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص ١٤٨.

(٢) أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة، وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - في وفد بنى تميم سنة ٥٩هـ فأسلم، فلما رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - قال هذا سيد أهل الوبر، توفي بالبصرة نحو ٢٠هـ/٦٤٠م، ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ٤١٢، الزركلي: الإعلام، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٣) حمزة الأصفهاني: الدرر الفاخرة، ج ١ ص ٢٧٩؛ الميداني: ج ١، ص ٥٣١.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤ ص ٤١٢.

فبفعل قيس هذا كان أول من وأد البنات^(١).

وتذكر أحد الباحثات أن قيساً بن عاصم ليس أول من اتبع هذه العادة بل أنه هو قد أحيها بعد أن أوشكت على الاندثار^(٢).

ويميل الباحث مع رأي الباحثة، خاصة أن قيساً بن عاصم كان قريب العهد بالإسلام، وانتشار مثل هذه العادة يستغرق وقتاً طويلاً، كما أن حمزة الأصفهاني والميداني ذكرا أن قيساً بن عاصم أحيها هذه السنة^(٣)، أي الوأد ولم يقولوا ابتدعها مما يدل على أنها كانت موجودة قبل ذلك واندثرت أو أوشكت على الاندثار، وأما قول ابن بكار من أن قيساً بن عاصم أول من وأد^(٤) فيكون أول من مارس هذه العادة في بني تميم وليس أول من فعلها على الإطلاق، وهناك نقش عثر عليه في مدينة مطرة بجنوب غرب الجزيرة العربية يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ينهى فيه عن وأد بنات مدينة مطرة، فنص النقش يقول " لا يحق شرعاً وأد بنات المدينة من قبل أفراد الشعب شعب مدينة مطرة"^(٥).

(١) ابن بكار: الأخبار الموقفيات، تحقيق/ سامي مكى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٠٣.

(٢) هدى الزويد: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز، ص١٤٤.

(٣) حمزة الأصفهاني: السابق، ج١ ص٢٧٩؛ الميداني: السابق، ج١ ص٥٣١.

(٤) الأخبار الموقفيات: ص٥٠٣.

(٥) أسمهان الجرو: التراث العربي، مقال بمجلة الإكليل، اليمن، العددان ٢٩-٣٠ يناير ومارس

٢٠٠٦م، ص٤٠، نورة النعيم: التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة

حمير، الرياض، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، ص٢١٦.

و يستفاد من نص هذا النقش أن عادة وأد البنات لم تنشأ في بلاد الحجاز وإنما هي عادة غريبة ومستوردة من خارج الحجاز، وأقدم مما هو متعارف عليه من حيث النشأة.

وجدير بالذكر أن عادة قتل الأبناء لم يكن مقتصرأ على البنات، بل كان منهم من يثد الولد والبنت على السواء خشية الفقر^(١)، فقد جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حين توفي ابنه إبراهيم وعيناه تدمعان عليه، فقال له "يا نبي الله تبكى على هذا السخل والذي بعثك بالحق لقد دفنت اثني عشر ولداً في الجاهلية كلهم أسف منه، كلهم أدمهم في التراب أحياء"^(٢).

كما أن كبيرة بنت أبي سفيان قالت للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي تباعه "يا رسول الله إنى وأدت أربع بنين لى في الجاهلية، فقال لها النبي - صلى الله عليه وسلم - "اعتقي أربع رقاب"^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾^(٤) يقول أى أن هناك من كان يقتل أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا

(١) محمد إسماعيل المقدم: المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق/حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، ج ٨ ص ٢٧٤؛ هدى الزويد: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ج ٨ ص ١٧٦.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٥١.

يبدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار^(١)، ولاشك أن ذلك من الذنوب العظمى فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: قلت يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً، وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت ثم أي؟ قال: "أن تزني بحليلة جارك"^(٢).

وهناك بعض الأدلة الأخرى التي تؤكد قيام بعض العرب بقتل أبنائهم، فقد يكون السبب هو الفقر، كما نص على ذلك القرآن، فقد همت هند بنت معاوية ابن الحارث بن بكر بن حبيب، وكانت جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيان^(٣) الذي قاد القوم في حرب البسوس^(٤) الشهيرة، أن تدق عنق ابنها الوليد ناشرة بن أغواث، فلما سمعها همام تأمر النساء بالقيام بقتل ابنها قال همام: ويحك لا تفعلي، قالت: وما يعيشه؟ قال همام: أمة تعيشه، ولقحه، وجمل ذلول، قالت: بلي فأعطاها إياها^(٥) فهذه القصة توضح أن الفقر كان دافعاً رئيسياً في بعض حالات الوأد. وقد يكون قتل الأبناء لأجل النذر، كما نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه إن أنجب عشرة يعينوه، فوقع الاختيار على عبد الله والد النبي - صلى الله عليه

(١) ابن كثير: التفسير، ج ٣ ص ٣٦١.

(٢) البخاري: حديث رقم ٤٤٤٧٧، ابن كثير: التفسير، ج ٣ ص ٣٦١، ج ٥ ص ٧٢، ابن حجر: فتح الباري، ج ٨ ص ١٦٣.

(٣) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص ٥٠.

(٤) ابن حبيب: المحبر، ص ٢٦٢.

(٥) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص ٥٠.

وسلم- وباقي القصة معروفة؛ وقد يكون سبب قتل الأبناء لرؤيا في المنام، كما في قصة الخليل وهمّه بذبح ابنه إسماعيل لو لا أن الله افتداه بذبح عظيم.

أما عن أماكن انتشار هذه العادة، فقليل أنها كانت في قبائل العرب قاطبة^(١)، وقيل كانت في تميم وقيس وهذيل وأسد وبكر بن وائل وقريش وتغلب وثقيف وخزاعة وجعفي وكندة^(٢).

ويذكر الجاحظ أن قريشاً لم تكن من القبائل التي كانت تعد البنات لأنهم كانوا حُمس^(٣)، بالطبع كان الأحباش من بين القبائل التي لم تمارس هذه العادة لأنهم حُمس أيضاً، كما لم تذكر أي من المصادر اسم قبيلة من قبائل الأحباش خمس الذين قاموا بالوَأد، كما أن الأحباش لم يكونوا ضمن الذين كانوا يقتلون أبناءهم خاصة البنين لأن الأحباش كانوا في حاجة إلى كل ولد لتقوية حلفهم وإكثاره.

أما عن قول الجاحظ، من أن قريشاً لم تكن تعد البنات، فيرى الباحث أن ليس كل قريش امتنعت عن ذلك، بل كان هناك من قام بوَأد بناته، فيروى أن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قد وأد إحدى بناته في الجاهلية^(٤).

(١) حمزة الأصفهاني: ج١، ص٢٧٩؛ الميداني: ج١ ص٥٣١.

(٢) هدى الزويد: المرجع السابق، ص١٤١-١٤٢.

(٣) الجاحظ: الرسائل، تحقيق / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٧٩م. ج٣ ص٤٧.

(٤) محمد إسماعيل المقدم: المرجع السابق، ص٦٥.

وعلى الرغم من وجود هذه العادة الذميمة في المجتمع العربي قبل الإسلام إلا أن هناك من أبناء القبائل التي كانت تقوم بهذه العادة، لا يقومون بها بل كان هناك من العرب من كان يحيى الموءودة كزيد بن عمرو بن نفيل، فكان يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها، ادفعها إليّ أكفلها فإذا ترعرعت، فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها^(١).

وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر الشهير يحيى الموءودة أيضاً، فقد أحيى في الجاهلية ثلاثمائة وستين موءودة وقيل أربعمائة وقيل ستاً وتسعين موءودة^(٢) اشترى كل منهن بجمل وناقتين عشاوين، وقد تفاخر جرير والفرزدق ذات يوم عند الخليفة سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى، يقصد بذلك فداء جده صعصعة للموءودات^(٣).

ولذا كان من الضروري أن يقوم الإسلام بالقضاء على هذه الفعله الشنيعة، وذكرت في القرآن الكريم هذه الفعلة قال تعالى: -

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾^(٤)

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص٢٤٢.

(٢) ابن كثير: المصدر السابق، ج٨ ص٦٠.

(٣) الأبشيشي: المستطرف، ص٣٦٨؛ السيد داود: محاضرات في تاريخ الدولة العربي، ص١٦.

(٤) سورة التكوير: آية ٨: ٩.

وقوله تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾^(٢). لذا كان أمر الحق سبحانه وتعالى بعدم قتل الأبناء ولا النفس التي حرم الله إلا بالحق.

مواطن سكن الأحابيش:

لم تكن قبائل الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام تقيم في منطقة واحدة، بل تنوعت مساكنهم وكثرت، فكان للقبيلة الواحدة أكثر من منطقة تقيم فيها إلا أن أكثر المناطق التي استوطنتها قبائل الأحابيش كانت في منطقة تهامة، ولم يكن استيطان الأحابيش أو بعض من قبائلهم في تلك المنطقة بين يوم وليلة، بل كان يقيم أجدادهم كنانة وخزيمة في تلك المنطقة، وكذلك نزل بجوارهم وبعض المناطق الأخرى نزلت خزاعة التي منها بنى المصطلق والحيا الأحابيش.

فقد نزلت كنانة بن خزيمة بن مدركة تهامة^(٣)، كما أقامت قبائل مدركة ابن إلياس بن نصر الذين منهم الهون بن خزيمة الأحابيش بتهامة أيضاً وما

(١) سورة الأنعام: آية ١٤٠.

(٢) سورة النحل: آية ٥٩.

(٣) البكري: معجم ما استعجم، ج ١ ص ٦١.

والأها من البلاد، فصاروا بناحية عرفات وعرنة وبطن نعمان ورجيل وكبكب^(١) والبوابة^(٢)، كما نزلت خزيمة بن مدركة أسفل من هذيل بن مدركة، وكانت لهذيل جبال من جبال السراة، وصدور أوديتها وشعابها الغربية، وقد استطالت خزيمة بن مدركة في تلك التهائم إلى أسياف البحر، فسالت عليهم الأودية التي هذيل في صدورها وأعاليتها وشعاب جبال السراة التي هذيل سكانها^(٣)، وفي أثناء ولاية خزاعة على مكة تشعبت بطون كنانة ومن مضر كلها وصاروا جرماً وبيوتات متفرقين في بعض بطن قومهم من بني كنانة، وكلهم إذ ذاك أحياء حلول بطواهرها، وصارت قريش على فرقتين: قريش البطاح وقريش الظواهر، وكانت خزاعة بادية لكنانة، ثم صار بنو كنانة لقريش، ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح، وقريش الظواهر من كان على أقل من مرحلة، ومن الضواحي ما كان على أكثر من ذلك، وصار من سوى قريش وكنانة من قبائل مضر في الضواحي أحياء بادية وظهرنا ناجعة من بطون قيس وخذف من أشجع وعبس وفزارة ومرة وسليم وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة وثقيف، ومن تميم والرباب، وضبعي بنى أسد، وهذيل، والقارة وغير هؤلاء من البطون الصغار^(٤).

(١) كبكب: هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهره إذا وقفت مع الإمام بعرفات، البكري، ج ٤ ص ٧.

(٢) البوابة: عقبة رمل كثود على طريق من أنجد من حجاج اليمن البكري، ج ١ ص ٢٥٨.

(٣) البكري: المصدر السابق، ج ١ ص ٧٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٢ ص ٣٩٨، ٣٩٩.

وكانت القبائل كلها ما عدا خزاعة لا تقيم بمكة، حتى أن خزاعة نفسها كانت لا تقيم إلا في الحل، أما منطقة الحرم فلم يكن فيها أى بناء ولا يسكنها أحد، فكان الناس يحجون ثم يتفرقون فتبقى مكة خالية ليس بها أحد^(١) ولعل السبب في ذلك أن خزاعة والجراهمة ولاة البيت قبلهم لم يريدوا أن يكون إلى جوار بيت الله بيت غيره^(٢)، وظل الأمر على هذا الحال حتى جاء قصي واستولى على أمر مكة والبيت فجمع قومة من قريش من منازلهم إلى مكة^(٣) بعد أن كانوا متفرقين في الشعاب والأودية المحيطة والمجاورة لمكة.

ولما استقر الأمر لقصي قام بقطع مكة رباعاً له ولقومه من قريش ثم اختط قومه من بعده بمكة رباعاً لأنفسهم وحلفائهم، فكانوا يحوذونها ويبنونها ويبيعونها ويشترونها^(٤)، ولقد اختلفت الأسباب التي جعلت أبناء القبائل العربية المختلفة تفر إلى مكة وتقيم بها، فهناك من جاء ليحتمي بالكعبة لحرمتها وقداستها لجناية أو جريرة مطلوب بها، ومنهم من جاء لكسب الرزق، سواء بالتجارة أو كأدلاء للقوافل التجارية^(٥)، وأدلاء

(١) البكري: المصدر السابق، ج١ ص٨٠.

(٢) محمد هيكل: المرجع السابق، ص١١١.

(٣) الأزرقى: المصدر السابق، ج١ ص١٢٩.

(٤) الفاكهي: المصدر السابق، ج٣ ص٢٦٠.

(٥) خضير الجميلي: المرجع السابق، ص٣٦.

شخصيين مثل استئجار النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء هجرته برجل من بني الدئل من بني عبد بن عدى^(١) وهو عبد الله بن أريقط^(٢).

هذا ولقد كان لقبائل الأحابيش منازل وبيوت كثيرة في تهامة وغيرها، وكان من تلك البيوت أعز البيوت في تهامة مثل بيت عويف بن الأضبط الديلي الذي كان بيته أعز بيت في تهامة^(٣).

ومن الأماكن التي نزلها الأحابيش على مختلف قبائلهم: أحليل وهو وادي تهامي لبني نفاثة^(٤) والأطواء ماء لبني عبد بن عدى بن الديل^(٥).

تضارع وتضرع: جبلان لبني الديل^(٦).

التلاعة: وادي صغير يقع جنوب مكة على قرابة ٦٠ كيلو متر^(٧) وكان به ديار لبني نفاثة^(٨).

دفاق: موضع قرب مكة كان يقيم بأسفله بني نفاثة^(٩).

(١) الزهرى: المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢) ابن سعد: ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) البلاذرى: ج ١١ ص ١٠٩.

(٤) الحموى: معجم البلدان، ج ١ ص ١٠١.

(٥) أبى سعيد السكرى: شرح أشعار الهذليين، ج ١ ص ٣١١.

(٦) الزمخشري: الجبال والامكنة والمياه، مطبعة بريل ١٨٥٥م، ص ١٠١.

(٧) البلاذرى: معجم المعالم الجغرافية، ص ٦٣.

(٨) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢١ ص ١٧٧.

(٩) الحموى: ج ٤ ص ٣٠٢، ج ٦ ص ٢٧٩.

رخمة: ماء بتهامة لبني الدليل^(١)، وهو بجبل يسمى طفيل^(٢).

ظراء: جبل في بلاد هذيل سكنه بني نفاثة^(٣).

مجنة: ماء لبني الدليل بتهامة^(٤).

المنصحية: ماء لبني الدليل بتهامة^(٥).

وضيق: جبل يسكن بني عبد بن عدى بن الدليل في نصفه، وفي النصف

الأخرى يسكنه هذيل^(٦).

ضان: جبل لبني الدليل^(٧).

جدة: كانت هوزتها بيد مالك وملكان ابني كنانة^(٨) وعلى ساحل جدة

معبودهم سعد^(٩).

(١) الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٧٣.

(٢) الحموي: ج ٤ ص ٣٩٩.

(٣) الحموي: ج ٦ ص ٢٧٩.

(٤) الزمخشري: المصدر السابق، ص ٣٣، الحموي: ج ٧ ص ٢٠٩.

(٥) الحموي: ج ٨ ص ٣٣٠.

(٦) الحموي: ج ٨ ص ٤٥٨.

(٧) الزمخشري: ص ١٠١.

(٨) عواطف سلامة: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٩) ابن الكلبي: الأصنام، ص ٥١.

المريسيع: ماء بنجد في ديار بني المصطلق من خزاعة^(١).

برك الغماد: من ديار القارة، وهو الموضع الذي لقي فيه ابن الدغنة سيد القارة الأحابيش أبي بكر الصديق عندما خرج مهاجراً للحبشة^(٢).

عسفان: من ديار بني المصطلق^(٣).

ويبعد نحو ٨٠ كم عن مكة شمالاً^(٤).

قديد: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية^(٥)، يبعد عن مكة نحو ١٢٠ كم^(٦).

ومن الأماكن الأخرى التي ارتبطت بقبائل الأحابيش، جبل حبشي الذي عقدوا حلف الأحابيش عنده، ويسمى الآن جبل السليمانية، وهو الذي يمتد من نفق ابن الزبير إلى ثنية المدينة، وقد فتح اليوم نفقان يربطان بين الأسطح وجرول^(٧)، ويسمى عند البكري حبيش^(٨)، والأدق حُبشي.

(١) البكري: المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٨.

(٢) البكري: السابق، ج ١ ص ٢٢٥.

(٣) الحرابي: السابق، ص ٤٦٣؛ إبراهيم قريبي: المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٥.

(٤) البلادي: المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٥) البلادي: السابق، ص ٢٤٩.

(٦) أكرم العمري: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٠٤.

(٧) عبد الله الغازي: إفادة الأنام، ج ٢ ص ٣٤، هامش رقم ٩.

(٨) البكري: معجم ما استعجم، ج ٢ ص ٦١.

جبيل القارة: وهو الذي تسمى القارة الأحابيش في أحد الأقوال على اسمه^(١) ذات نكيف والمشلل، وقد مر الحديث عن المعارك التي خاضها الأحابيش وقريش هناك ضد بني ليث، وكذلك يلملم التي كان بها أحد القارة ومنهم عواف القاري الذي كان حليفاً لهشام بن المغيرة والعاص بن وائل^(٢) وبسببه هاجت الحرب بين قريش ومن معها من الأحابيش ضد بني ليث.

الغميصاء: كان يسكنه بني جذيمة الكنانيين^(٣)، وتقع الغميصاء بتهامة الحجاز^(٤).

هذه هي أشهر الأماكن التي استوطنتها قبائل الأحابيش والتي جاء فيها نصاً صريح، وذلك في فترة قبل الإسلام، أما في صدر الإسلام فقد حدثت هجرات لبعض القبائل الأحابيش، إلى المدينة والكوفة والبصرة وميزها من الأماكن، ومن الأمثلة التي جاءت عن تلك الهجرات:

١- الهجرة إلى المدينة، فقد هاجر إليها بنو المصطلق وأخوانهم من بني كعب بن عمرو ظاهر مرة بني عفيدة^(٥)، إلى دار عمر بن عبد العزيز

(١) البلاذري: ج ١ ص ٧٧.

(٢) ابن حبيب: المنق، ص ١١٧.

(٣) البكري: ج ٣ ص ٢٥٨؛ الحموي: ج ٦، ص ٣٩٧.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٥٩٦.

(٥) في وفاء الوفا: حرة بني العفيدة، وهي غرب وادي بظمان. السمهودي: ج ٤ ص ٥٧.

بالحرة، إلى الدار التي يقال لها- دار الحزازين^(١) بالحرة الغربية^(٢).

كما هاجر بنو الدليل بن بكر إلى موضع عرف بمحلة بنى الدليل بن بكر، وهي ما بين محلة بنى ضمرة إلى الدار التي يقال لها "دار الخرق" حدّها زقاق الحضارمة ويدعى الخط العظيم لها إلى بنى ضمرة ، إلى جبل في مريد أبى عمار بن عبيس من بني الدليل ، يقال له المستندر إلى دار الصلت ابن نوفل النوفلي التي بالجبانة^(٣).

كما نزل أبو نمر بن عويف من بني الحارث بن عبد مناة^(٤) بن كنانة على بني ليث بن بكر، فأتخذ الدار التي يقال لها "دار آل أبى نمر" وهي في خط بني أحمر بن ليث^(٥).

٢- مكة كان بها بعض الرباع للقارة مثل ربع آل قارظ القارين وهي الدار التي يقال لها دار الخلد على الصيادلة بين الصفا والمروة^(٦)، وربع الأنمار القارين، وهي على المروة على أصحاب الأدم من ربع آل

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، تحقيق/على محمد دتل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج١، ص١٦٣.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢ ص٢٦٩.

(٣) ابن شبه: تاريخ المدينة، ج١ ص١٦٠؛ السمهودي: ج٢، ص٢٦٥.

(٤) يقول ابن شبه والسمهودي: بنى الحارث بن عبد مناف والصواب بنى عبد مناة السمهودي: ج٢ ص٢٦٠.

(٥) ابن شبه: المصدر السابق، ج١ ص١٦٠؛ السمهودي: ج٢ ص٢٦٥.

(٦) الأزرقى: ج٢ ص٦٥٤.

الحضرمي إلى رحبة عمر بن الخطاب مقابل زقاق الجزارين، الذي يسلك على دار عبد الله بن مالك، ووجه هذا الربع أيضاً بين الدار مما يلي البرامين، وفيه دار أم أنمار القارية، وكانت برزة من النساء، كانت رجال قريش يجلسون بفنائها يتحدثون^(١)، وكانت أم أنمار هذه تاجرة بمكة تباع وتشتري^(٢)، ويقال أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس في ذلك المجلس ويتحدث بفنائها، وهذا الربع بيت قديم جاهلي بناؤه الأول، وقد دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا البيت كما يقال وفي هذا الربع مسجد صغير يقال أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه وقد تم شراؤه في عهد الأمويين ثم العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور^(٣) كما اتلك طارق بن المرتفع من بني الحارث ابن مناة بساتين في مكة^(٤).

٣- البصرة: نزل فيها بعض بنى الدئل من قوم أبي الأسود^(٥) وكان أبو الأسود الدؤلي أشهر من نزل البصرة وتولي فيها العديد من المناصب - كما سبق القول - وتوفي أبو الأسود بالبصرة^(٦).

٤- الكوفة: هاجر إليها جماعة من الأحابيش في عهد الخليفة عمر بن

(١) الأزرقى: ج٢ ص٦٥٥؛ الفاكهي: ج٣ ص٣١٧.

(٢) الفاكهي: ج٣ ص٣١٧.

(٣) الأزرقى: ج٢ ص٦٥٥.

(٤) الفاكهي: ج٤ ص١٢٥.

(٥) أبو سعيد السكري: ديوان أبو الأسود، ص٤٣١.

(٦) البلاذري: ج١١ ص١١٧.

الخطاب^(١) - وقد سبق الحديث عن ذلك - واشتهر بها من المحدثين عمرو بن الحارث المصطلق أخو السيدة جويرية بنت الحارث أم المؤمنين وعمرو بن الحارث يعد في الكوفيين^(٢).

ويرى الباحث أن كثرة الأماكن التي استقرَّ فيها قبائل الأحباش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام ليدل على كثرة عدد سكان الأحباش ، ويمكن تقدير عددهم بما لا يقل عن عشرة آلاف نسمة على أقل تقدير، فمثلاً كان عدد الأحباش المقاتلين في غزوة أحد وحدها ألفين^(٣) على الرغم من عدم اشتراك كل قوات الأحباش في أحد، هذا بخلاف النساء والشيوخ والأطفال والمقعدين الذين لم يشاركوا في الحروب التي خاضها الأحباش.

مظاهر الحياة الاجتماعية في مجتمع الأحباش:-

المأكّل والمشرب: لم تختلف الأطعمة والأشربة لدى الأحباش كثيراً عما كان موجوداً عند غيرهم من العرب المجاورين لهم كأكل اللحوم والتمر وشرب اللبن والخمر في بعض الأحيان ، لكن كان للأحباش أطعمة معينة يتناولونها أو يمتنعون عنها في أوقات معينة، فمثلاً في الحروب كان المحاربون الأحباش يتناولون الخزير كما في حرب الفجار

(١) الطبري: ج٢ ص٥٦١.

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ص٢٠٠٢.

(٣) السيوطي: لباب النقول، ص١٥٨.

الرابعة^(١) والجُزر في يوم الحديبية^(٢)، وفي موسم الحج كان الحمس الذين منهم الأحاييش كانوا يحرمون الزبد وتصفية السمن^(٣).

اللباس: كان الأحاييش يرتدون الملابس التي يرتديها أيضاً غيرهم من العرب، لكن في موسم الحج كان الحجاج منهم لا يلبسون شيئاً مصنوع من الصوف ولا الشعر ولا الوبر^(٤).

وفي الحروب كان الجنود الأحاييش يرتدون أدوات الحرب كالدروع وغيرها، ويعطى الصحابي كعب بن مالك صورة عن ذلك عن هيئة الأحاييش يوم أحد:

فجئنا إلى هوج من البحر وسطه أحاييش منهم حاسر ومقنع^(٥).

الزواج والمصاهرة في مجتمع الأحاييش:

مما لاشك فيه أن الزواج من السنن التي من غيرها لا تستقيم الحياة البشرية ولا الوجود البشري على سطح الأرض، ولقد كان الزواج عند الأحاييش من الأشياء المهمة وحرص الأحاييش على انتقاء الأزواج والزوجات في مجتمعهم، ولم يكن الأحاييش منغلقيين على أنفسهم في

(١) ابن حبيب: المنوق، ص ١٧٠.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢ ص ٧٥.

(٣) حسين مؤنس: المرجع السابق ص ١٧٩.

(٤) المحب الطبري: القرى، ص ٣٨١.

(٥) ديوان كعب بن مالك ص ٦٠. وهوج معناها الشجاع الطويل، وحاسر بمعنى كاشف الرأس.

الزواج والمصاهرة، بل إنهم قد اهتموا بمصاهرة القبائل الأخرى كقريش الحلفاء القدماء للأحابيـش، ولقد تعدد أنواع الزواج في المجتمع العربي قبل الإسلام، ففي الصحيح أن السيدة عائشة قالت بـ "إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفصل الرجل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطيع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتأطته به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث

محمد- صلى الله عليه وسلم- بالحق هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم^(١).

هذا ولقد كان هناك أنواع أخرى من الزواج مثل:-

نكاح المتعة: وهو تزويج المرأة إلى الرجل لهدف، فإذا انقضى افترقت عنه، وفي هذا الزواج يقدم الزوج صداقاً معيناً ويكون لأولاده حق الانتساب إليه وحق الإرث.

نكاح السبي: ويقضى بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللاتي وقعن سبايا، ولا يشترط في هذا الزواج أن يدفع الزوج صداقاً.

نكاح الإمام: من حق العربي أن يتزوج من أمته فإذا أنجب منها أبناء لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه، بل يظلوا عبيداً له وقد يعتقهم إذا رغب في ذلك.

نكاح المقت: -

كان الرجل إذا مات عن امرأة أو طلقها قام أكبر بنيه من غيرها، فإن كان

له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض

(١) البخارى: حديث، رقم ٥١٢٧.

إخوته بمهر جديد^(١).

وكان من أبرز الذين قاموا بذلك الزواج عمرو بن نفيل^(٢).

ولقد كان العرب يعيرون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونهم الضيزن^(٣)، ولقد

كانت هذه عادة قديمة على ما يبدو، فقد ورد النهي عنها في التوراة:

لا

يتزوج أحد أرملة أبيه لأن هذا عار وإهانة لأبيه^(٤).

وتذكر كتب الأنساب والأخبار أن كنانة بن خزيمة قد نكح زوجة أبيه برة بنت مر بن أد بعد وفاته، فولدت له ولده كلهم إلا عبد مناة^(٥) بن كنانة، فأمه الذفراء واسمها فكيهة بنت هني بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاة^(٦)، وقد انجب كنانة منها ملكاً وملكاً ومليكا وغزوان، وإخوتهم لأمههم أسد وأسدة والهون بن خزيمة^(٧)، وكان النضر أيضاً من

(١) السيد داود: المرجع السابق، ص ١٣، ١٤.

(٢) ابن حبيب: السابق، ص ٥٩. وعمرو هذا هو والد زيد بن عمرو بن نفيل الذي كان يحيى الموءودة.

(٣) ابن حبيب: السابق، ص ٥٩؛ أبو الفدا: المختصر، ج ١ ص ١٢٦.

(٤) سفر التثنية الاصحاح ٢٢، الآية ٣٠.

(٥) في مثالب العرب لابن الكلبي عبد مناف والصحيح عبد مناة.

(٦) ابن الكلبي: مثالب العرب، تحقيق/نجاح الطائي، دار الهدى، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٧٧؛ الزبيرى: ص ١٠.

(٧) الزبيرى: ص ١٠.

نتاج زواج كنانة بزوجة أبيه برة^(١)، والنضر هو الذي منه كانت قریش ويرى البعض أن زواج الرجل بامرأة أبيه كان مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود النسب^(٢).

و يروي الشامي نقلاً عن الجاحظ في كتابه "الأصنام" أن الإنجاب من زواج كنانة بامرأة أخية غلط وليس صواباً، وذلك أن كنانة لما خلف أباه على زوجته برة بعد وفاته وهي أم أسد والهون بن خزيمة ولم تلد لكنانة ولداً ذكراً، ولكن كانت بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طانجة أخت لجثم بن مرة، عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة، وإنما غلط الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على زوج أبيه، ولاتفق اسمهما وتقارب نسبهما، وقع هذا الذي عليه أهل العلم والنسب^(٣).

وقد أيد الشامي رأي الجاحظ، واستندوا إلى قول- صلى الله عليه وسلم: ما زلت أخرج من نكاح كنيكاح الإسلام حتى خرجت من أبي وأمي^(٤)، وقال أيضاً: "ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كنيكاح أهل الإسلام^(٥).

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٧.

(٢) الشامي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣٥.

(٣) الشامي سبل الهدى، ج ١ ص ٣٣٦.

(٤) الشامي: السابق، ج ١ ص ٣٣٧.

(٥) ابن سعد: السابق، ج ١ ص ٢٢.

ويستدل من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله اختار العرب، فاختار كنانة من العرب، واختار قريشاً من كنانة، واختار بني هاشم من قريش، واختارني من بني هاشم"^(١) ليدل على نقاء نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى كل حال، لقد حرم الإسلام زواج المقت هذا، قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾^(٢).

ومما سبق ذكره يتبين أن عبد مناة الذي منه بنو الحارث بن عبد مناة، وبني الدليل بن بكر بن عبد مناة من نكاح نقي، كما أن أبناء المصطلق والحيا الأحابيش من نكاح نقي، فأما أبيهم أم خارجة التي ضرب بها المثل في سرعة النكاح^(٣).

كما اتضح نقاء نسب الهون بن خزيمه ، فأمه برة بنت مر، وهو أخو كنانة بن خزيمه، وأبوهما خزيمه بن مدركة^(٤)، كما أن القول الذي قاله الجاحظ من أن كنانة لم ينجب أولاد من برة زوجة أبيه، وإنما أنجب أولاد كمالك ابن كنانة^(٥) الذي منه الأحابيش ليدل على نقائهم أيضاً.

أما عن أبرز المصاهرات التي تمت بين قبائل الأحابيش مع القبائل الأخرى، فمنها: فكان من أقدم تلك المصاهرات، نزول جعثمة بن مبشر

(١) سورة النساء: آية ٢٢.

(٢) الضبي: أمثال العرب، ص ١١.

(٣) البلاذري: ج ١١ ص ٨٤.

(٤) الزبيرى: ص ١٠.

(٥) ابن قتيبة: ص ٣٩.

من قبيلة الأزد التي هاجرت من مأرب، في بني الدليل ابن بكر، فحالفهم وزوجهم وزوجوه^(١)، كما تزوج عامر بن عوف مسك الذئب من بني الحارث بن عبد مناة من ربيعة بنت عبد مناف بن قصي^(٢)، كما تزوج والد أبي الأسود الدؤلي من بني عبد الدار بن قصي، فأم أبو الأسود هي الطويلة من بني عبد الدار ابن قصي^(٣).

كما تزوج عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر من عدية بنت وائلة بن كعب من بني الحارث بن عبد مناة^(٤)، كما تزوج الحارث بن فهر من الوارثة بنت الحارث بن مالك بن كنانة، وتزوج وديعة بن الحارث بن فهر بن عميرة بنت الأحمر بن الحارث بن عبد مناة^(٥).

كما تزوج هاشم بن عبد مناف بن قصي بقبيلة وهي الجزور بنت عامر بن مالك بن جذيمة المصطلق^(٦).

كما تزوج عبد الرحمن بن العوام جمينه بنت عبد العزى بن قطن من بني المصطلق وهي من المبايعات^(٧).

(١) ابن سعد: ج ١ ص ٩٣؛ ابن حبيب: ص ٨٢.

(٢) ابن حبيب: ص ٢٣١.

(٣) ابن خياط: الطبقات، ص ١٩١؛ البلاذري: ج ١١، ص ١١٠.

(٤) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ١١٩-١٢٠.

(٥) ابن الكلبي: السابق، ص ١٢٣.

(٦) ابن سعد: ج ١، ص ١١٤؛ البلاذري: ج ١، ص ٨٧.

(٧) الزبير بن بكار: جمهرة نسب قریش، ج ١ ص ٣٥١.

وقد تزوج صفوان بن أمية من البغوم بنت المعذل من بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما تزوج ثعلبة بن تميم بن غالب من فاخته بنت الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما أن والده حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كانت من بني الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كما أن والده هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بنت خالد بن عبيد بن سويد من بنى الحارث ابن عبد مناة^(١)، كما تزوج عبيد الله بن عباس من أم حكيم بنت قارظ بن خالد من بنى الحارث بن عبد مناة^(٢).

كما أن أم محمد بن مسلم بن عبد الله الأصغر بن شهاب من بنى الدليل^(٣). هذه هي أشهر المصاهرات التي تمت بين قبائل الأحباش مع القبائل الأخرى، وهناك شيء أود أن أوضحه، وهو ادعاء بعض الباحثين بأن أمهات الأحباش زنجيات^(٤) فإن ذلك غير صحيح، فعلى سبيل المثال ذكر ابن الكلبي وابن حبيب العديد من أسماء العرب الذين ترجع أصول أمهاتهم إلى الحبشة، سواء من قريش كالخطاب بن نفيل وأمه من الحبشة، وعثمان بن الحويرث وصفوان بن أمية وهشام بن عقبة بن أبي معيط، وغيرهم الكثير من قريش^(٥) بالإضافة إلى أبناء القبائل العربية الأخرى كعترة بن شداد العبسي وأمه زبيبة وعبد الله بن سبأ، وأبرهة بن الصباح

(١) ابن بكار: السابق، ج ٢ ص ٥٣٧، ٦٦٥، ٨٧٧، ٩٧٩.

(٢) الزبيرى: ص ٣١؛ ابن بكار: ج ٢ ص ٥٣٩.

(٣) ابن بكار: ج ٢، ص ٥٧٤.

(٤) montgomery wat: muhammed at mecca. P. ١٥٦

(٥) ابن الكلبي: المثالب، ص ١١٤ - ١١٥؛ المنمق: ص ٤٠٠.

الحميرى وأمه بنت أبرهة الأشرم^(١)، فلم يذكر من ضمن هؤلاء الأبناء ولا غيرهم اسم أي شخص من أبناء الأحاييش مما ينفي هذا الادعاء.

أضف إلى ذلك أن من الأحاييش من كان موصوفاً بالجمال كالسيدة جويرية بنت الحارث المصطلقية زوجة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقد أشاد بجمالها السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد كانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه^(٢).

وكان من الذين عرفوا بالجمال أيضاً على ما يبدو، السيدة أم رومان من بني غنم بن مالك بن كنانة، وهي زوجة أبي بكر الصديق - رضى الله عنهما - فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان"^(٣).

كما كانت أم حكيم زوجة عبيد الله بن عباس موصوفة بالجمال^(٤)، ولم يكن الجمال مقتصراً على نساء الأحاييش فقط، بل كان من رجال الأحاييش من عرف بالجمال مثل خالد بن الحارث بن عبيد من بني الحارث بن عبد مناة^(٥).

(١) ابن الكلبي: السابق، ص ١١٦.

(٢) ابن سعد: ج ٨ ص ١٣٨.

(٣) ابن سعد: ج ٨، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) الأصفهاني: ج ١٦، ص ٢٩٤.

(٥) ابن حبيب: ص ٢٣٩.

ولاشك أنه لمكانة الأحابيش وفضلهم، وكان منهم أعز وأنجد بني كنانة كبنو الحارث بن عبد مناة^(١) أن تسارع العرب لمصاهرتهم، وتقوية الحلف والنسب بينهم وبين الأحابيش، كما أنه أيضاً لفضل بعض القبائل كقريش حرص الأحابيش على مصاهرتهم أيضاً.

العادات والتقاليد في مجتمع الأحابيش:

لقد تنوعت العادات والتقاليد في مجتمع الأحابيش، ما بين عادات محمودة، وأخرى مذمومة، فمن العادات المحمودة الكرم، فقد اشتهر به بنو الحارث ابن عبد مناة^(٢)، وسلمي بن نوفل بن معاوية الديلي بأنه من أجواد الجاهلية، كما كان من حكام العرب^(٣).

الشجاعة: اشتهر أكثر الأحابيش بأنهم شجعان وفرسان كسارية بن زنيم الديلي^(٤).

وكما كان بني الحارث بن عبد مناة أنجد بني كنانة^(٥) وغيرهم الكثير من الأحابيش، كما كانوا يحترمون الموتى مثل موقف الحليس يوم أحد^(٦) وبالرغم من وجود وانتشار عادات محموده في مجتمع الأحابيش، إلا أن

(١) القالي: ج ٣، ص ٢٥.

(٢) القالي: ج ٣، ص ٢٥.

(٣) ابن حبيب: المحبر، ص ١٥٨، ١٦٣.

(٤) البلاذري: ج ١١، ص ١٠٧.

(٥) القالي: ج ٣، ص ٢٥.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٤٠.

ذلك لا ينفي أنه كان هناك بعض العادات والأفعال الذميمة التي نهى عنها الإسلام بعد ذلك وحث على عدم فعلها، مثل البخل فقد ذكر البعض أن أبا الأسود كان بخيلاً^(١)، ويرى الباحث أن أبا الأسود ليس بخيلاً كما يدعى البعض، فهو كان من العلماء والمفسرين، النحويين وكان من القضاة والولاة، والقراء، فكيف برجل تجتمع فيه هذه الصفات، ويكون بخيلاً؟!

حتى إن الجاحظ في كتابة البخلاء لم يذكر صراحةً أن أبا الأسود كان بخيلاً فقد نصح أبو الأسود أحد أبنائه ذات يوم قائلاً له: إذا بسط الله في الرزق فابسط، وإذا قبض فأقبض، ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك، وقال: درهم من حل يخرج في حق، خير من عشرة آلاف قبضاً^(٢)، ويرى الباحث أن ذلك من الحكمة أن ينفق الرجل ماله ويضعه في موضعه، لأن ابن آدم سيُسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقته.

ومن الصفات الذميمة التي كان لدى بعض الأحابيش هي الحرص على عادة الأخذ بالثأر، كما فعل كلثوم بن الأسود بن سلمى بن رزن بن يعمر بن نفائة الذي كان حريصاً على الأخذ بثأر له عند بني الملوح بن يعمر^(٣) وبالرغم من ذلك كان هناك من يدي القتل كبني المصطلق^(٤) وبنو

(١) البلاذري: ج ١١ ص ١١٦.

(٢) الجاحظ: البخلاء، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص ١٣.

(٣) ابن بكار: ج ٢، ص ٦٦٨.

(٤) ابن سعد: ج ٨، ص ١٣٥.

الأسود ابن رزن من بني الدليل، فإنهم كانوا يودون في الجاهلية ديتين ديتين لفضلهم^(١).

وكان من العادات والأفعال الجاهلية التي كان يقوم بها بعض الأحابيش أو الذين كانوا ينتسبون إلى بعض قبائل الأحابيش، كانوا يقطعون الطرق على المارة، فكان في جبل تهامة جُماع من القبائل والأفخاذ كانوا يغصبون المارة^(٢)، وكان هؤلاء جماعة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد^(٣)، فلما ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد منهم وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - فكتب لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدهم حر ومولاهم محمد ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دين في الناس رد إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وإن لهم على ذلك ذمة الله وذمة محمد، والسلام عليكم"^(٤).

(١) القاسي: شفاء الغرام، ج٢ ص١٣١.

(٢) ابن منظور: ج٢ ص٢٠٢.

(٣) جواد علي: المفصل، ج٧، ص٣٣٠، محمد حميد الله: الوثائق السياسية، دار النفائس،

بيروت، ط٨، ٢٠٠٩م، ص٢٧٨.

(٤) ابن سعد: ج٢ ص٣٩٥ - ٣٩٦.

وكان هناك من الأحابيش من تم خلعه من القبيلة كسارية بن زنيم الديلي^(١) ولكن لما ظهر الإسلام هداه الله وأصبح من القواد الفاتحين.

وكان من الأشياء التي تميز بعض المناطق الخاضعة لقبائل الأحابيش وكانت أيضاً من الأشياء التي يذمها المرء هي الغارات التي كانت تتم من القبائل على المناطق المجاورة، فلم يكن الأحابيش أيضاً بمعزل عد تلك الإغارات، والحروب التي كانت تقوم في بلاد العرب قبل الإسلام، فيوماً يكون أحد قبائل الأحابيش هم المغيرون، وأحياناً أخرى يكونون هم المغار عليهم، فعلى سبيل المثال خرج قوم من هذيل يريدون بني عضل والديش وهم بالمرخة القصوى اليمانية، وكان الهذليون بقيادة عمرو بن خويلد بن وائلة بن مطحل الهذلي، وفي أثناء طريقة إلى ديار عضل بن ديش، قدم إلى أهل دار من بني قريم بن صاهلة بالمرخة الشامية، فسألهم عن بني عضل، فأخبره بمكانهم، ونهوه عنهم، إلا أنه لم يستجيب لهم، وسار في طريقة إلى بني عضل، وكان عند بني قريم رجل من بني عضل وأخت له تحت رجل من القوم، فسمع هذا العضلي ما دار بين الهذليين والقريميين، فخرج إلى قومه وأعلمهم بالأمر، فأخذ بني عضل خدرهم وكمنوا للهذليين وعندما ارتفع نهار اليوم التالي رموا الهذليين بالنبل فقتل عمرو بن خويلد بن وائلة كما قتل سعد بن أسعد سيد بنو عضل على يد رجل من بني قريم يدعى أبو كتيمة^(٢).

(١) البلاذري: ج ١١ ص ١٠٧.

(٢) السكري: شرح أشعار الهذليين، ج ٢ ص ٦٣١ - ٦٣٢.

كما خرج بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل مغيرين يريدون بني عبد بن عدى بن الدليل، وقد كانوا عهدوهم في منزل، إلا أن بني عبد بن عدى قد ظعنوا من ذلك المنزل قبل أن ينقض عليهم المغيرون^(١).

كما حاول الشاعر الجاهلي الشهير تأبط شراً ذات يوم أن يغير على دار لبني نفاثة بالتلاعة، لكن لم يكن هناك غير النساء ورجل واحد، فبصر هذا الرجل بالمغيرين، فأمر النسوة، بأن يجعلن شعر رءوسهن إلى السيوف، فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها ثم نهض الرجل والنساء وأمرهن أن لا يبرزن

أحدأ، وجعل هو يبرز للقوم ليروه، وطفق يغرى ويصيح على القوم، حتى ذهب تأبط ومن معه بعيداً^(٢).

كما شارك أحد بني المصطلق مع بعض بني كنانة في إحدى الغارات على نجد مغيرين^(٣)، كما قام أحد الشعراء الجاهليين ويدعى صخر الغي بن عبد الله الخثمي بالإغارة على بني المصطلق، إلا أن بني المصطلق أحاطوا به وجرحوه^(٤).

(١) السكري: السابق، ج٢ ص٥٤٨.

(٢) الأصفهاني: ج٢١ ص١٧٧-١٧٨.

(٣) السكري: ج٢ ص٨٦٨.

(٤) السكري: ج٢ ص٤٨٠.

ومن العادات الأخرى التي تلفت الانتباه وتعتبر عادة شاذة هي قيام بعض القبائل بأكل لحوم البشر، فيقال أنه كان بعض القبائل العربية تأكل لحوم البشر كأسد وهذيل والعنبر وباهلة، فقد كانت امرأة من أسد تدعى رملة بنت فائد بن حبيب بن خالد بن نضلة قد أكلها زوجها وأخوها بسبب الغبط والغيرة^(١)، ويقال إن بنى نفاثة عمدوا إلى رجل جار لهم في الجاهلية يقال له: حبيش بن فخدم، في أزمنا أصابت الناس، فشووه ثم تركوه أياماً حتى إذا قبَّ أكلوه^(٢).

ومن الصفات الذميمة الأخرى التي مارسها بعض الأحبابيش الغدر، مثل غدر عضل والقارة بأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الرجيع^(٣).

(١) الجاحظ: البخلاء، ص ١٨٥.

(٢) السكري: ج ٢ ص ٧٢٩. ومن المحتمل أن يكون ذلك من المبالغات في الأحداث التي جاءت من فترة قبل الإسلام، إلا أن هناك حوادث أخرى مشابهة تقوي حدوث ذلك الفعل، ففي عهد السلطان العادل الأيوبي (ت: ٦١٥هـ) حدث غلاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، وقد قام بعض الناس في هذه المجاعة بأكل غيرهم من الناس، حتى إن الأب كان يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، والمرأة تأكل ولدها، وفشا هذا الأمر حتى إن لحوم الأطفال كانت بالأسواق والطرق مع الرجال والنساء مختفية، وكذلك في زمن الخليفة المستنصر الفاطمي (ت: ٤٨٧هـ) أكل الناس بعضهم بعضاً بسبب المجاعة أيضاً. المقرئ: إغاثة الأمة، تحقيق/ كرم حلمى فرحات، عين الدراسات والبحوث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٩٨، ١٠٤.

(٣) ابن هشام: ج ٣ ص ٩٨.

الخاتمة

لقد عرضت الدراسة العديد من الأمور المتعلقة الأحابيش، وتأتي في مقدمتها الأصل العربي للأحابيش بما لا يجعل هناك مجالاً للشك في عروبة الأحابيش وأصلهم ودمائهم العربية، وكان ذلك بعد عرض مختلف الآراء التي دارت حول أصلهم، سواء الرأي القائل بأنهم أحباش، أو الرأي القائل بأنهم عرب، أو الرأي القائل بأنهم مزيج من الحبش والعرب، وكان ترجيح بل والتأكيد على عروبة الأحابيش من خلال عرض كل الآراء التي دارت حول أصلهم ومناقشتها للخروج بأي تلك الأقوال أصح.

و بعد عرض الآراء المختلفة حول أصل الأحابيش تم التعرض للدور السياسي للأحابيش في العصر الجاهلي وصدور الإسلام، وفيه تم إبراز تكوين حلف الأحابيش كحلف سياسي، ثم عرض علاقته بالأحلاف السياسية الأخرى وكذلك الأحلاف الأخرى التي خرجت من حلف الأحابيش.

كما تم عرض حقوق وواجبات الأحابيش وسيدهم، وكذلك المواثيق التي تحالف وتعاهد عليها الأحابيش، ومحاولتهم الحفاظ على المواثيق التي تعاهدوا عليها.

وتستمر الدراسة في عرض الدور السياسي للأحابيش في صدر الإسلام وما آل إليه هذا الحلف بعد فتح مكة، وتدهور أوضاع الأحابيش.

كما قامت الدراسة بعرض الحياة العسكرية للأحابيش ودورهم في الحروب التي قامت في العصر الجاهلي وصدور الإسلام، وأبرزت الدراسة بعضاً من جوانب المواقف البطولية التي ظهر بها الأحابيش في الحروب سواء التي قامت في الجاهلية أو صدر الإسلام، وأبرز القادة الذين تولوا قيادة الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام، وكذلك إبراز دور أبناء الأحابيش في حركة الفتوحات التي قامت في صدر الإسلام.

كما قامت الدراسة بعرض الملامح الدينية للأحابيش في العصر الجاهلي وموقفهم من الإسلام، وإبراز موقفهم من العبادات التي كانت منتشرة قبل الإسلام، ثم توضيح موقفهم من الرسالة المحمدية وإبراز مواقفهم المختلفة من الإسلام، سواء كانت مواقف فردية أو مواقف جماعية، وتطور موقفهم من الرسالة المحمدية من موقف عدائي إلى تأييد للإسلام والدخول فيه والدفاع عنه ونشره.

ولقد قامت الدراسة بالحديث عن النواحي الحضارية للأحابيش وذلك من خلال إبراز إسهاماتهم في النواحي الحضارية في المجتمع العربي سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام، وكان ذلك من خلال إبراز ملامح الحياة الاقتصادية للأحابيش، وكذلك إبراز الدور الفكري للأحابيش في الجاهلية وصدور الإسلام، موضحاً الإسهامات التي قدمها الأحابيش في المجالات الفكرية المختلفة سواء في اللغة أو الشعر أو

العلوم الدينية بما فيها من علم التفسير والحديث وغيرها من العلوم؛ والتي برز فيها شخصيات عدة من مجتمع الأحابيش، كانت لإسهاماتهم الدور الكبير في إثراء الحياة فكرية في المجتمع العربي.

كما قامت الدراسة بإلقاء الدور على ملامح الحياة الاجتماعية للأحابيش، والعادات والتقاليد وغيرها من الملامح الاجتماعية التي شهدتها الأحابيش مع غيرهم من العرب سواء قبل الإسلام أو بعده، وكذلك إبراز موقف الأحابيش من بعض العادات التي كانت منتشرة ببلاد العرب قبل الإسلام كواد البنات.

كما قامت الدراسة برسم صورة عن أشهر الأماكن التي عاش فيها الأحابيش سواء في الجاهلية أو صدور الإسلام، وهجرة بعضهم من الأماكن التي كانوا يقيمون فيها قبل الإسلام.